الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة العربي التبسي -تبسة-

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

بلاغة الالتفات في سورة النحل

مذكرة مكملة لنيل شهادة ماستر " ل.م.د " في الأدب العربي

تخصص: علوم اللسان

إعداد الطالبتين:

خديجة عبد المالك

لمية بطة

إشراف الأستاذة:

سعاد عطا الله

لجنة المناقشة:

الأستاذ	الرتبة	الجامعة الأصلية	الصفة
نور الدين بعلوج	أستاذ مساعد -ب-	جامعة العربي التبسي	رئيسا
سعاد عطا الله	أستاذ مساعد –أ-	جامعة العربي التبسي	مشرفا و مقررا
صالح غريبي	أستاذ التعليم العالي	جامعة العربي التبسي	عضوا مناقشا

السنة الجامعية:2016-2017

﴿ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي
أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ
صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي
عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ ﴾
النمل: ١٩

شكر وعرفان

الشكر والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه، الشكر لله الذي وفقنا لهذا وما كنا مدركيه إلا بإذنه

ثم نتوجه بالشكر الجزيل إلى أستاذتنا الفاضلة "سعاد عطا الله" التي قبلت الإشراف على مذكرتنا بصدر رحب لها منا كل فائق الامتنان والتقدير عرفانا على مساعدتها التي قدمتها لنا والتي لم تبخل علينا بتوجيهاتها القيمة ولا بوقتها الثمين طيلة إنجازها هذا البحث.

كما نتوجه بالتقدير الصادق لأعضاء لجنة المناقشة لتفضلها بمراجعة هذه الدراسة استدراكا لنقصها وإسهاما في تكميل فائدتها.

مقدمة

مقدمة:

بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على أشرف المرسلين أما بعد:

اهتم علماء اللغة بالبلاغة لما تحتوي عليه من علوم خاصة منها علم البديع الذي يستوفي على مجموعة من المحسنات كالالتفات.

فقد أصبحت البلاغة محطة للوقوف من أجل معرفة أسرار القرآن ومعرفة مواطن إعجازه وفصاحته وبلاغته ومعرفة بيانه وبديعه، والتوغل في دقة تآلف وتركيب ألفاظه ورونق معانيه لذا ارتبطت البلاغة بالقرآن لاكتشاف خباياه وأسراره، لهذا يلجأ جل اللغويين والعلماء في جعل القرآن الكريم من أغنى وأجود الدراسات اللغوية التي وجد فيها مواطن الجمال وأجود الأساليب البديعة التي تجلب السامع والقارئ للتمعن فيه والغوص في معانيه لاشتماله على أساليب فنية رائعة وتراكيب لغوية يعجز البشر على الإتيان بمثلها لدقة إعجازه.

ويعد الالتفات من بين هذه الأساليب فهو يعلب دورا هاما وفعالا في الإعجاز القرآني ومعرفة بلاغته.

لذا لجأنا إلى دراسته باعتباره من أهم ملامح البلاغة فكانت سورة النحل نموذجا لاستخراج ما اشتملت عليه من صور ومجالات الالتفات، لأنها تحتوي على مجموعة معتبرة من صور الالتفات وأساليبه، فوجدنا في دراسة موضوع "بلاغة الالتفات في سورة النحل" لذة وتشويقا في إثراء معارفنا.

واخترنا هذا الموضوع باعتبار الالتفات إحدى الأسس في الدرس البلاغي والتي يقوم عليها القرآن الكريم في تركيب الألفاظ ومعانيها أو بالأحرى مدى انسجام العلاقة بين الألفاظ والمعاني.

وكان اختيارنا لأسباب ذاتية وموضوعية.

فالذاتية رغبتنا في دراسة بلاغة الالتفات ومعرفة مواطنه أو صوره في سورة النحل

إثراء معارفنا.

معرفة كيفية وروده في النصوص القرآنية باعتباره من أهم الأساليب التي يشتمل عليها القرآن في ثناياه.

وسعينا إلى تسليط الضوء على سورة النحل لتوفرها على نماذج أسلوب الالتفات خاصة أنَّه يمثل مصدرا مهما في إثبات الإعجاز القرآني.

أما الأسباب الموضوعية والتي تمثل في:

نفور بعض الطلبة لدراسة هذا المجال خاصة لارتباطها بالقرآن العظيم المحكم الرصين.

ومن الأسباب الموضوعية أيضا ارتباط موضوع الالتفات وشيوعه أكثر بالقرآن الكريم.

وقد إقتضت الدراسة طرح الإشكالية على النحو الآتي:

- ما هي أهم ظواهر الالتفات وصوره في سورة النحل؟
- وما الغرض البلاغي منه؟

ويتفرع عن هذه الإشكالية عدة تساؤلات:

- ما هو الالتفات؟ وما رأي القدامى والمحدثين حوله؟
- ما هي مجالاته؟
- ما هي أهم الشروط التي يتحقق فيها الالتفات؟
- وما الفائدة التي يسعى إلى تحقيقها؟
- وكيف يتحقق الالتفات بالضمائر والصيغ والعدد؟

أما المنهج المتبع في هذه الدراسة هو المنهج الوصفي التحليلي، فالوصفي يتمثل في وصف ظواهر الالتفات والإحاطة بأهم جوانبه.

أما التحليلي فقد وظف في تحليل أساليب وصور الالتفات وتحليل مواطنه وكيفية وروده واستعماله، وكذلك تحليل الآيات القرآنية وتفسيرها وشرح أسلوب الالتفات المتضمن فيها.

والهدف الذي تسعى هذه الدراسة للوصول إليه هو معرفة الخصائص البلاغية في سورة النحل، من أجل تمهيد الطريق للباحث إلى الولوج إلى معرفة الكتب المختلفة ومعرفة كيف يتحقق الالتفات في القرآن ككل وخاصة في سورة النحل باعتبارها نموذجا للدراسة.

ولقد قسم هذا البحث إلى ثلاثة فصول وخاتمة يتقدمها مدخل يحتوي على مفاهيم ومصطلحات يتضمن التعريف بالبلاغة، مفهوم الالتفات وآراء القدامى والمحدثين حوله وكذا معرفة مجالاته وشروطه وفوائده، كما تطرقنا إلى التعريف بسورة النحل التي تعتبر نموذجا للدراسة مركزين في ذلك على سبب تسميتها وصلتها بم قبلها وبعدها وأهم موضوعاتها.

أما الفصل الأول فعنون بـــ: بلاغة الالتفات بالضمائر في سورة النحل والذي يحتوي على خمسة مباحث، المبحث الأول: الالتفات بين الغيبة والخطاب، والمبحث الثاني عنوانه: الالتفات بين الغيبة والتكلم، أما المبحث الثالث عنون بـــ: الالتفات بين التكلم والخطاب،

أما بالنسبة للمبحث الرابع فعنوانه: الالتفات بين المضمر والظاهر ، وأخيرا المبحث الخامس جاء عنوانه تحت اسم: الالتفات بين التذكير والتأنيث. أما فيما يخص الفصل الثاني فكان عنوانه: بلاغة الالتفات بالصيغ في سورة النحل الذي يحتوي على ثلاثة مباحث الأول منهم تحت اسم: الالتفات بين الماضي والمضارع ، أما المبحث الثاني عنون بـــ: الالتفات من المضارع والماضي إلى الأمر، أما فيما يخص المبحث الثالث فعنون بـــ: الالتفات بين الفعل والاسم .وأخيرا الفصل الثالث قدم له عنوان بـــ: بلاغة الالتفات بالعدد في سورة النحل والذي يتكون من ثلاثة مباحث، المبحث الأول عنوانه: الالتفات بين الإفراد والجمع، أما المبحث الثاني فعنوانه: الالتفات بين التثنية والإفراد ،والمبحث الأخير عنوانه : الالتفات بين الثنية والجمع .

ولقد اعتمدنا في هذه الدراسة على مجموعة من المراجع والمصادر أهمها:

المعاجم:

- لسان العرب
- المعجم الوسيط
- قاموس المحيط
- معجم التعريفات

التي ساهمت في معرفة الجذور اللغوية لكلمتي البلاغة والالتفات.

كتب البلاغة:

- البلاغة العربية المفهوم والتطبيق
- البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها
- البلاغة الاصطلاحية

والتي تناولت صور الالتفات وفوائده ومجالاته ومعرفة شروطه

كتب التفاسير:

- التحرير والتنوير
- تفسير أبو السعود
- تفسير الكشاف
- روح المعاني

والتي عالجت مضمون سورة النحل ومعرفة أغراضها وموضوعاتها وكذا معرفة تفسير آياتها والوقوف على معرفة الأغراض البلاغية للمواطن الالتفاتية بالاعتماد على رواية ورش، ولعل كل عمل لابد له من صعوبات تعترض طريقه ومن أهم الصعوبات التي واجهناها قلة المراجع التي يتوفر فيها الالتفات، تعذر الوصول إلى أمهات الكتب كما أنَّ دراسة القرآن تعتبر من أهم الصعوبات في التعامل معه ومعرفة أسراره وإصدار الحكم عليه.

وأخيرا نتوجه بالشكر الجزيل إلى الأستاذة الفاضلة والمحترمة "سعاد عطا الله" التي وجدنا فيها الدعم لوقوفها معنا لما واجهناه، كما نتقدم بالشكر لأعضاء لجنة المناقشة فجزاهم الله كل الخير وآدامهم فخرا للأجيال.

مدخل

أولا: تعريف البلاغة

أ-لغة

البلاغة من مادة (ب ل غ) وفي هذه المادةتقول المعاجم:

« بَلَغَ: بَلَغَ الشَيْءُ يَبْلُغُ بُلُوغًا وبَلَاغًا: وَصَلَ وَانْتَهَى، وَأَبْلَغُهُ هُوَ إِبْلَاغًا وبَلَّغَهُ تَبْلِيغًا. وَتَبَلَّغَ بِالشَيْءِ: وَصَلَ إِلَى مُرَادِهِ، وبَلَغَ مَبْلَغَ فُلَانٌ وَمَبْلَغَتَهُ. وَفِي حَدِيثِ الاسْتِسْقَاءِ: وَاجْعَلْ مَا أَنْزَلْتَ لَنَا قُوةً وَبَلَاغًا إِلَى حِينْ، البَلَاغُ: مَا يُتَبَلَّغُ بِهِ وَيَتَوَصَّلُ إِلَى الشَيْءِ المَطْلُوبِ. وَالبَلَاغُ: ماَ بَلَغَكَ . والَبَلَاغُ: الكِفَايَةُ. وَالبَلَاغُ: الإِبْلَاغُ وَفِي التَنْزِيلِ: إِلاّ بَلَاغاً مِنَ الله وَرِسَالَاتِهِ.وَالإِبْلَاغُ: الإِيصَالُ»[1].

وجاء في المعجم الوسيط: «(بَلَغَ) الشَجَرُ-بُلُوغًا، وبَلَاغًا: حَانَ إِدْرَاكَ ثَمَره.وَ-الغُلَامُ: أَدْرَكَ. وَ-الأَمْرُ: وَصَلَ إِلَى غَايَتِهِ، وَمِنْهُ:﴿حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ﴾. وَ-الشَيْءُ بُلُوغًا وَصَلَ إِلَيْهِ. (بَلُغَ) -بَلَاغَةً: فَصُحَ وَحَسُنَ بَيَانُهُ، فَهُوَ بَلِيغٌ هُوَ (ج) بُلَغَاءُ. وَيُقَالُ بَلُغَ الكَلَامُ. (أَبْلَغَهُ) الشَيْءُ وَإِلَيْهِ: أَوْصَلَهُ إِلَيْهِ: (بَالَغَ) فِيهِ مُبَالَغَةً، وَبِلَاغًا: اِجْتَهَدَ فِيهِ وَاسْتَقْصَى. (البَلَاغُ) التَّبْلِيغُ وَمِنْهُ:﴿هَذَا بَلَاغٌ لِلنَّاسِ﴾. وَ- مَا يُتَوَصَّلُ بِهِ إِلَى الغَايَةِ. (البَلَاغَةُ):حُسْنُ البَيَانِ وَقُوَّةِ التَأْثِيرِ . وَ-(عِنْدَ عُلَمَاءِ البَلَاغَةُ): مُطَابَقَةُ الكَلَامِ لِمُقْتَضَى الحَالِ مَعَ فَصَاحَتِهِ»[2].

---

[1]- جمال الدين ابن منظور: لسان العرب مادة (ب ل غ) ، دط ، دار صادر، بيروت ، دت، مج8، ج8، ص:419.

[2]- إبراهيم مصطفى وآخرون : المعجم الوسيط مادة (ب ل غ) ، دط ، دار المكتبة الإسلامية ، دت ، ج1، ص:69،70.

ب-اصطلاحا

أمَّا فِي معناها الاصطلاحي فهي تُعرف بأنَّها « وصفا للكلام، والمُتكلم فقط، ولا توصف الكلمة بالبلاغة، لقصورها عن الوصول بالمتكلم إلى غرضه ولعدم السماع بذلك»[1].

«وهي حسن الكلام مع فصاحته وأدائه لغاية المعنى المراد»[2]. وتكون في حالة «مطابقة الكلام لمقتضى الحال مع فصاحته»[3].

وَمن البَلاغيين الذِينَ قدموا تعريفا للبلاغة الجاحظ حيث يقول: «(لا يَكون الكلام يستحق اسم البلاغة حتى يسابق معناه لفظه، ولفظه معناه، فلا يكون لفظه إلى سمعك أسبق من معناه إلى قلبك)»[4]. أما الرُمَّاني يعرف البلاغة فيقول: «(إنَّها إيصال المعنى إلى القلب في أحسن صورة من اللفظ)»[5].

وبالبلاغة تتضح أسرار القرآن وخباياه لأنَّها تسعى إلى الإيضاح والكشف والتبسيط والإيجاز، كما أنّها ترمي إلى إيصال المعنى فِي أحسن صورة دون تعقيد وتكون فِي العبارة والجملة ولا تكون في الكلمة المفردة.

وهي علم من العلوم العربية تنقسم إلى ثلاثة علوم هي: علم المعاني وعلم البيان وعلم البديع وهذا الأخير يتضمن عدة محسنات منها اللفظية والمعنوية التي يندرج ضمنها أسلوب الالتفات.

---

[1]- حميد آدم توينى: البلاغة العربية المفهوم والتطبيق، ط1، دار المناهج ، عمان ، 1427هـ/2007م ، ص:12.
[2]- عبدالرحمان حسن حبنكة الميداني:البلاغة العربية أسسها، وعلومها، وفنونها، ط1، دار القلم،دمشق،1416هـ/1996م ، ج1، ص:128.
[3]- محمد رفعت أحمد زنجير: مباحث في البلاغة وإعجاز القرآن، ط1، دد، 1428هـ/2007م، ص:25.
[4]- حافظ إسماعيلي علوي: التداوليات علم استعمال اللغة، ط1، عالم الكتب الحديث، إربد، 2011م، ص:577.
[5]- ديزيرة سقال: علم البيان بين النظريات والأصول، ط1، دار الفكر العربي، بيروت، 1997م، ص:34.

ثانيا: تعريف الالتفات

أ-لغة:

جاء في لسان العرب في مادة (ل ف ت): «لَفَتَ : لَفَتَ وَجْهَهُ عَنِ القَوْمِ: صَرَفَه وَالْتَفَتَ اِلْتِفَاتًا، وَالتَّلَفُتُ أَكْثَرَ مِنْهُ.وتَلَفَّتَ إِلَى الشَيْءُ وَالْتَفَتَ إِلَيْهِ: صَرَفَ وَجْهَهُ إِلَيْهِ وَقَوْلَهُ تَعَالَى: وَلاَيَلْتَفِتُ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا امْرَأَتَكَ؛ أُمِرَ بِتَرْكِ الِالْتِفَاتِ، لَئِلاَ يَرَى عَظِيمَ مَا يَنَزِّلُ بِهِمْ مِنَ العَذَابِ.وَفِي الحَدِيثِ: فَكَانَتْ مِنِّي لَفْتَةٌ، هِيَ المَرَّةُ الوَاحِدةُ مِنَ الالْتِفَاتِ. وَاللَّفْتُ: اللَيُّ.وَلَفَتَهُ يَلْفِتَهُ لفْتًا: لَوَاهُ عَلَى غَيْرِ جِهَتِهِ، وَقِيلَ: اللَّيُّ هُوَ أَنْ تَرْمِي بِهِ إِلَى جَانِبِكَ.وَلَفَتَهُ عَنِ الشَّيْءُ يَلْفُتُهُ لَفْتًا: صَرَفَهُ. وَاللَّفْتُ: لَيُّ الشَيء عَنْ جِهَتِهِ، كَمَا تَقْبِضُ عَلَى عُنُقِ إِنْسَانٍ فَتَلْفِتُهُ. وَأَصْلُ اللَّفْتِ: لَيُّ الشَيء عَنِ الطَرِيقَةِ المُسْتَقِيمَةِ. وَاللُفُوتُ مِنَ النِسَاءِ: التِي تُكْثِرُ التَّلَفُتَ»[1].

أَمّا في قاموس المحيط : « لَفَتَهُ يُلْفِتُهُ: لَوَاهُ، وَصَرَفَهُ عَنِ رَأْيِهِ، وَمِنْهُ: الِالْتِفَاتُ والتَّلَفُتُ، وَاللِحَاءُ عَنِ الشَّجَرِ: قَشَّرَهُ، وَالرِيشَ عَلَى السَّهْمِ: وَضَعَهُ غَيْرُ مُتَلاَئِمٍ. وَاللِّفْتُ بِالكَسْرِ: السَّلْجَمِ. وَاللِّفْتَاءُ: الحَوْلاَءُ، وَالعَنْزُ إِعْوَجَّ قَرْنَاهَا »[2].

وفي معجم التعريفات للجرجاني نجد أن: «الالْتِفَاتُ: هُوَ العُدُولُ عَنِ الغَيْبَةِ إِلَى الخِطَابِ، أَوِ التَّكَلُمِ، أَوْ عَلَى العَكْسِ»[3]. «وَهُوَ التَعْبِيرُ عَنْ مَعْنَى بِطَرِيقٍ مِنَ الطُرُقِ الثَلاَثَةِ هِيَ الخِطَابُ أَوِ التَّكَلُمِ أَوْ الغَيْبَةِ بَعْدَ التَّعْبِيرِ عَنْهُ بِطَرِيقٍ آخَرَ مِنْهَا»[4].

---

[1]- جمال الدين ابن منظور: لسان العرب مادة (ل ف ت) ، دط، دارصادر، بيروت ، دت، مج2، ج2، ص:84-86.
[2]- مجد الدين الفيروز أبادي: قاموس المحيط مادة (ل ف ت)، تح محمد نعيم العرقسوسي ، ط8، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1426هـ/2005م، ص:159.
[3]- الشريف الجرجاني: معجم التعريفات ، تح محمد صديق المنشاوي ، دط ، دار الفضيلة ، القاهرة ، دت ، ص:32.
[4]- محمد سليمان عبد الله الأشقر: علوم اللغة العربية، ط2، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1415هـ/1954م، ص:73.

ب-اصطلاحا:

وَفي تعريفه الاصطلاحي هو ذلك « الانتقال في الكلام مِن صيغة إِلى صيغة كإِنتقال مِنْ خطاب حاضر إِلى غائب، أَو مِن مفرد أَو مثنى أَو جمع على عكس ذلك. ويُسمى أَيْضًا "شجاعة العربية"وإِنَّما سمي بذلك لأَنَّ الشجاعة هي الإِقدام»[1].

ويرْمي البلاغيون أيضا على أنَّ الالتفات« هو التحويل في التَعْبير الكلامي منْ اتِجاه إلى آخر من جهات أو طرق الكلام الثلاث: "التكلم-والخطاب-والغيبة" »[2].

وفي مفتاح العلوم للسكاكي يقول: « واعلم أنّ هذا النوع، أعني نقل الكلام عن الحكاية إلى الغيبة، لا يختص المسند إليه، ولا هذا القدر، بل الحكاية والخطاب والغيبة ثلاثتها ينقل كل واحد منها إلى الآخر، ويسمى هذا النقل التفاتا عند علماء المعاني»[3].

والملاحظ أنّ الالتفات لا يخرج عن معنى التحول والانصراف في التعبير الكلامي والانتقال فيه من صيغة إلى صيغة ومن أسلوب إلى أسلوب هذا ما يلجأ إليه جلّ اللغويين لاستدرار المعنى وتطرية له.

ج-آراء القدماء والمحدثين حول الالتفات:

أ-القدماء:

أشار العلماء القدامى إلى الالتفات وتناولوه في بحوثهم بتسميات مختلفة واختلفوا في وضعه فمنهم من وضعه في باب علم البيان ومنهم من وضعه في باب علم المعاني ومنهم كذلك من جعله في باب علم البديع.

---

[1]- عبد العزيز قليقلة: البلاغة الاصطلاحية، ط3، دار الفكر العربي، القاهرة، 1412هـ/1992م، ص:317.
[2]- عبد الرحمان حسن حبنكة : البلاغة العربية أسسها، وعلومها، وفنونها، ج1، ص:479.
[3]- أبي يعقوب بن علي السكاكي: مفتاح العلوم، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1420هـ/2000م، ص:201.

يعد أبو عبيدة معمر بن المثنى (ت208) من الذين تناولوا الالتفات في كتابه "مجاز القرآن" « وتنبه في ثنايا ذلك إلى الصورة العامة للالتفات، وإن لم يقترح لها اسمه الاصطلاحي، يقول: (ومن مجاز ما جاءت مخاطبته مخاطبة الشاهد ثم تركت وحولت مخاطبته هذه إلى مخاطبة الغائب، قال الله تعالى:﴿حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ﴾ أي بكم).ويعود الفضل في تسمية مصطلح الالتفات إلى الأصمعي (ت211) حسب ما أشار إليه شوقي ضيف حيث قال: لعلنا لا نبالغ إذا قلنا أنَّ الأصمعي أول من اقترح "للالتفات" اسمه الاصطلاحي في البلاغة » [1].

أما بالنسبة لابن المعتز (ت296) في كتابه "البديع" نجده يسمي الالتفات تحت اسم "محاسن الكلام" حيث يقول: «هو انصراف المتكلم عن المخاطبة إلى الإخبار، وعن الإخبار إلى المخاطبة وما يشبه ذلك، ومن الالتفات الانصراف عن معنى يكون فيه إلى معنى آخر»[2].

وأما أبو هلال العسكري (ت395) في كتابه "الصناعتين" يضع فصلا للالتفات وهو عنده أنّ: «الالتفات على ضربين فواحد أن يفرغ المتكلم من المعنى فإذا ظننت أنّه يريد أن يجاوزه يلتفت إليه فيذكره بغير ما تقدم ذكره به.

والضرب الآخر أن يكون الشاعر آخذا في معنى وكأنّه يعترضه شك أو ظن إن رادًا يرد قوله سائلا يسأله عن سببه فيعود راجعا إلى ما قدمه.. فإمَّا أن يؤكده، أو يذكر سببه، أن يزيل الشك عنه »[3].

[1]- شوقي ضيف: البلاغة تطور وتاريخ، ط9، دار المعارف، القاهرة، دت، ص:30،31.
[2]- ابن المعتز: كتاب البديع، تح عرفان مطرجي ، ط1، مؤسسة الكتب الثقافية ، بيروت ، 1433هـ/2012م ، ص:73.
[3]- أبو هلال العسكري: الصناعتين الكتابة والشعر، ط2، مطبعة محمد علي صبيح ، مصر، دت، ص:381،382.

والمتأمل لرأي أبي بكر الباقلاني (ت403) في كتابه "إعجاز القرآن" يقول « معنى الالتفاتات أنَّه اعترض في الكلام »[1].

والالتفات عند أبي منصور الثعالبي (ت429) هو « أن تذكر الشيء، وتتم معنى الكلام به، ثم تعود لذكره كأنَّك تلتفت إليه» [2].

والأمر نفسه عند ابن رشيق (ت456) فهو يعرف الالتفات بقوله: « وهو الاعتراض عند قوم، وسماه آخرون الاستدراك، حكاه قدامى، حد الالتفات وسيلة أن يكون الشاعر آخذا في معنى ثم يعرض له غيره فيعدل عن الأول والاختلاف إلى الثاني فيأتي به، ثم يعود إلى الأول من غير أن يخل في شيء مما يشد الأول»[3].

وبعدها زاد الاهتمام بهذا الفن الأسلوبي خاصة في ما له علاقة بالتحول الضمائري وهو ما وجد عن الزمخشري (ت538) في تفسيره سورة الفاتحة في قوله تعالى: «﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾[الفاتحة: 05] فإن قلت: لم عدّل عن لفظ الغيبة إلى لفظ الخطاب؟ قلت: هذا يسمى **بالالتفات** في علم البيان، قد يكون من الغيبة إلى الخطاب، ومن الخطاب إلى الغيبة، ومن الغيبة إلى التكلم، كقوله تعالى:﴿حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ﴾ [يونس:22] وقوله تعالى:﴿وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَاهُ﴾ [فاطر:09][4].

وقد التفت امرؤ القيس ثلاث التفاتات في ثلاثة أبيات: [من المتقارب]

تَطَاوَلَ لَيْلُكَ بِالأَثْمُدِ وَنَامَ الخَلِّي وَلَمْ تَرْقُدِ

---

[1]- أبو بكر الباقلاني: إعجاز القرآن ، دط ، دار المعارف، مصر، دت، ص:99.

[2]- أبو منصور الثعالبي: فقه اللغة وسر العربية ، تع خالد فهمي ، ط1، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1428هـ/1998م، ج2، ص:309.

[3]- أبو علي الحسن بن رشيق: العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده ، تح محمد محي الدين عبد الحميد، دط ، دار الجيل، بيروت، دت، ج2، ص:45.

[4]- أبو القاسم جار الله الزمخشري: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، تح خليل مأمون شيحا ، ط1، مكتبة العيكان ، الرياض، 1418هـ/1998م ، ص:117-119.

وَبَاتَ وَبَاتَتْ لَهُ لَيْلَةٌ كَلَيْلَةِ ذِي الْعَائِرِ الأَرْمَدِ

وَذَلِكَ مِنْ نَبَأٍ جَاءَنِي وَأُنْبِئْتُهُ عَنْ أَبِي الْأَسْوَدِ»[1].

والالتفات عند ابن الأثير (ت637) « حقيقته مأخوذة من التفات الإنسان عن يمينه وشماله، فهو يقبل بوجهه تارة كذا، وتارة كذا، وكذلك يكون هذا النوع من الكلام خاصة لأنَّه ينتقل فيه عن صيغة إلى صيغة »[2].

والملاحظ أنَّ للالتفات تسميات مختلفة عند القدامى، فهو الترك والتحول والاستدراك والانصراف والاعتراض وهو من محاسن الكلام إلى أن أصبح مستقلا بمعناه تحت اسم الالتفات.

ب-المحدثون:

ومن بين المحدثين الذين تناولوا الالتفات محمد بركات يرى أن الالتفات « قد نيط بالمستويات العليا من أساليب البلاغة وفنونها ومن هنا اعتبر الالتفات بكثرته سمة العبقرية العربية ومقدرتها الفنية »[3].

ويرى محمد حسين أبو موسى أن «الالتفات يشير إلى قيمته في إيقاظ النفس وتحريكها، وأنَّه قد يقع في أول الكلام، وإذا كان الالتفات إلى الغيبة أدرك الزمخشري فيه معنى التشهير والنداء حتى كأنَّ المتكلم يخيل بهذا الالتفات أنَّه يحكى هذا الأمر إلمام ويرويه لكل غافل، وقد يعدل المتكلم إلى الخطاب تخييلا بالإقبال على المخاطب ومواجهته بزيادة اللوم والانكار» [4].

[1]- امرئ القيس: ديوان امرئ القيس، تح محمد أبو الفضل إبراهيم ، ط5، دار المعارف ، القاهرة، دت ، ص:185.
[2]- ضياء الدين ابن الأثير: المثل السائر، تح أحمد الحوفي و بدوي طبانة، ط2، دار نهضة ، مصر، دت، ج2، ص:167.
[3]- محمد بركات: دراسات في البلاغة ، ط1، دار الفكر، عمان ، 1984م، ص:155.
[4]- محمد حسين أبو موسى: البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري، دط ، دار الفكر العربي ، دت، ص:643.

والظاهر في كتاب التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور الذي يرى أن «الالتفات من أفانين الكلام وهو نقل الكلام من أحد طرق التكلم أو الخطاب أو الغيبة إلى طريق آخر منها وهو بمجرده معدود من الفصاحة وسماه ابن جني شجاعة العربية لأنّ ذلك التغيير يجدد نشاط السامع فإذا انضم إليه اعتبار لطيف يناسب الانتقال إلى ما انتقل إليه صار من أفانين البلاغة »[1].

ومما سبق يتضح أنّ الالتفات عند المحدثين هو خروج الكلام على خلاف مقتضى الظاهر وهو إيقاظ النفس وتحريكها وهو الانتقال وسموه كذلك بالعبقرية العربية وسمي أيضا بشجاعة العربية ولهذا فهو لم يخرج عن معناه مما ذكره القدامى.

د-مجالات الالتفات:

للالتفات مجالات عديدة متعارف عليها عند جلّ البلاغيين هي:

أ-الضمائر

ب-الصيغ

ج-العدد

د-الأدوات

هـ-البناء النحوي

و-المعجم

[1]- محمد الطاهر بن عاشور: التحرير والتنوير، دط، الدار التونسية، تونس، 1984م، ج1، ص:109.

ومن المعلوم أن سورة النحل من السور الغنية بأسلوب الالتفات المتضمن لمجلات متعددة من بينها التي ستخصص في هذه الدراسة (الضمائر، الصيغ ، العدد) والسبب من وراء ذلك الاختيار والتخصيص لهذه الأنواع الثلاثة باعتبارها من أهم ملامح الالتفات التي تزخر بها سورة النحل بكثرة مما جعلها تغطي بقية العناصر الأخرى (البناء النحوي، الأدوات المعجم) لقلة ورودها في هذه السورة ، فالغاية الأولى من الدراسة هي رصد وتسليط الضوء على النماذج الأكثر بروزًا وتوفرًا في المدونة لأنَّها تخدم البحث ويبقى الهدف من دراسة الالتفات لا يكمن في معرفة أنواعه وحصرها فقط بل البحث عن ذلك الأثر الذي يتركه في المتلقي .

المجالات التي ستخصص للدراسة هي:

أولا :الضمائر

« صور الالتفات عند جمهور البلاغيين ست:

1. التفات من التكلم إلى الخطاب كقوله تعالى حكاية عن حبيب النجار في موعظة قومه في الإيمان:﴿وَمَا لِيَ لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [يس:22].
2. التفات من التكلم إلى الغيبة، قوله تعالى:﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ﴾ [الكوثر:1-2].
3. التفات من الخطاب إلى التكلم.[1]

قول علقمة بن عبده العجلي

طحابِك قلب في الحسان طروب بعيد الشباب عصر حان مشيب

[1]- عبد العزيز عبد المعطي عرفة: من بلاغة النظم العربي، ط2، عالم الكتب ،بيروت، 1405هـ/1984م ،ج1، ص:203.

تكلفني ليلى وقد شط وليها وعادت عواد بيننا وخطوب

4. التفات من الخطاب إلى الغيبة، قوله تعالى:﴿حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ﴾ [يونس:22].

5. التفات من الغيبة إلى الخطاب، كقوله تعالى:﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ [الفاتحة: 4–5].

6. التفات من الغيبة إلى التكلم، كقوله تعالى:﴿وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَاهُ﴾ [فاطر:09] »[1].

ثانيا: الصيغ

1. «الالتفات من الماضي إلى الأمر كقوله تعالى:﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ﴾ [الأعراف:29].

2. الالتفات من الماضي إلى المستقبل وبالعكس كقوله تعالى:﴿بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ [الحج:31].

وقوله تعالى:﴿وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ﴾ [النمل:87].

3.الرجوع من الفعل المستقبل إلى فعل الأمر

فممّا جاء من ذلك قوله تعالى: ﴿قَالُوا يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَنْ قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ إِنْ نَقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ﴾ [هود:53–54].

[1]- عبدالعزيز عبد المعطي عرفة : المرجع السابق ،ج1، ص: 204،205.

ثالثا: العدد

الرجوع من خطاب التثنية إلى خطاب الجمع ومن خطاب الجمع إلى خطاب الواحد. فمن ذلك قوله تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى وَأَخِيهِ أَنْ تَبَوَّآَ لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [يونس:87] »[1].

فالالتفات إذًا له مجالات متعددة تظهر فيها ملامح التحول في طرق الكلام خاصة في الضمائر التي يكون فيها الانتقال بين التكلم والخطاب والغيبة وكذلك الانتقال في الصيغ بين الماضي والمضارع والأمر كما تظهر ملامحه بالإضافة إلى ما سبق في العدد أي بين الجمع والمفرد والمثنى وهذا ما يجعله من أروع محاسن الكلام وبديعه.

هـ-شروط الالتفات:

للالتفات شروط متنوعة تتنوع بتنوع الالتفات الحاصل وهذا ما ذهب إليه الزركشي حيث قال: « تقدّم أن شرط الالتفات أن يكون الضمير في المتنقل إليه عائدا في نفس الأمر إلى المنتقل عنه، وشرطه أيضا أن يكون في جملتين، أي كلامين مستقلين، حتى يمتنع بين الشرط وجوابه، وفي هذا الشرط نظر، فقد وقع في القرآن مواضع الالتفات فيها وقع في كلام واحد؛ وإن لم يكن بين جزأي الجملة، كقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآَيَاتِ اللَّهِ وَلِقَائِهِ أُولَئِكَ يَئِسُوا مِنْ رَحْمَتِي﴾ [العنكبوت:23] »[2].

ومن شروطه أيضاأن:« يشترط في الالتفات نقل الكلام من خطاب الواحد أو الإثنين أو الجمع إلى الآخر. يقرب من الالتفات التنقل بين الماضي والمضارع والأمر،

[1]- ابن النقيب: مقدمة تفسير ابن النقيب، دط، دار العلوم، القاهرة، دت ،ص:202-208.
[2]- بدر الدين الزركشي: البرهان في علوم القرآن، تح محمد أبو الفضل إبراهيم ، دط ، دار التراث، القاهرة، دت، ج3، ص:331،332.

وهو من الخروج عن مقتضى الظاهر، ويلحق به التنقل بين الفعل وإسم الفاعل وإسم المفعول، مثل: ﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ﴾ [الأنعام: 95] »[1].

لهذا المحسن شروط لابد من توفرها في كل المجالات التي يظهر فيها هذا النوع من الأسلوب وحتى يتم تحققه في الكلام لابد أن يكون في كلامين مستقلين يشمل الملتفت عنه والملتفت إليه لكي يظهر الكلام فصيحا ومستساغا لدى السامع والقارئ.

و-فوائد الالتفات:

لهذا المحسن البديعي فوائد تسهم في تنويع عباراته وهذا ما صرح به الزركشي حيث قال « للالتفات فوائد عامة وخاصة، فمن العامة التفنن والانتقال من أسلوب إلى آخر لما في ذلك من تنشيط السامع، واستجلاب صفائه، وإتساع مجاري الكلام، وتسهيل الوزن والقافية.

وأما الخاصة فتختلف باختلاف مجاله ومواقع الكلام فيه على ما يقصده المتكلم. فمنها قصد تعظيم شأن المخاطب، كما في قوله :﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الفاتحة: 01] ومنها: التنبيه على ما حق الكلام أن يكون واردا عليه، كقوله تعالى: ﴿وَمَا لِيَ لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [يس:22] ومنها: أن يكون الغرض به التتميم لمعنى مقصود للمتكلم فيأتي به محافظة على تتميم ما قصد إليه من المعنى المطلوب له، كقوله: ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ أَمْرًا مِنْ عِنْدِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [الدخان:4-6] ومنها: قصد المبالغة، كقوله تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ﴾[يونس: 22] ومنها: قصد الدلالة على الاختصاص، كقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ﴾ [فاطر:09] ومنها: قصد الاهتمام، لقوله تعالى: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ

[1]- عبد الرحمان حسن حبنكة: البلاغة العربية أسسها، وعلومها، وفنونها ، ج1، ص:484.

كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ [فصلت:11–12] ومنها: قصد التوبيخ، كقوله تعالى: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا»﴾ [مريم:88–89] »[1].

ومن هنا يجد القارئ متعة في الغوص في أعماق هذا الأسلوب لانتقاله من جهات وطرق مختلفة في الكلام فينجر عن ذلك عدة فوائد يضمها الالتفات كالتنويع في العبارات والتفنن في أسلوب الكلام والتنبيه وإثارة تفكير المتلقي وتتميم المعنى وما إلى ذلك من فوائد عدة.

ثالثا: التعريف بسورة النحل:

أ–سبب التسمية:

تعرف هذه السورة « عند السلف سورة النحل، وهو إسمها المشهور في المصاحف وكتب التفسير وكتب السنة ووجه تسميتها بذلك أن لفظ النحل لم يذكر في سورة أخرى.

وعن قتادة أنها تسمى سورة النعم–أي بكسر النون وفتح العين– قال ابن عطية: لما عدد الله فيها من النعم على عباده.

وهي مكية في قول الجمهور وهو عن ابن عباس وابن الزبير. وقيل، إلا ثلاث آيات نزلت بالمدينة منصرف النبي –صلى الله عليه وسلم– من غزوة أحد، وهي قوله تعالى: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ﴾ إلى آخر السورة.

[1]- الزركشي: البرهان في علوم القرآن ، ج3، ص:325-330.

وعن قتادة وجابر بن زيد أن أولها مكي إلى قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللهِ مِنْ بَعْدِ مَاظُلِمُوا﴾ فهو مدني إلى آخر السورة.

وسيأتي في تفسير قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَيْرِ مُسَخّرَاتٍ فِي جَوِ السَمَاءِ﴾.ما يرجح أن بعض السورة مكي وبعضها مدني، وبعضها نزل بعد الهجرة إلى الحبشة كما يدل عليه قوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللهِ مِنْ بَعْدِ مَافَتَنُوا﴾ ، وبعضها متأخر النزول عن سورة الأنعام لقوله في هذه ﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ﴾.وهذه السورة نزلت بعد سورة الأنبياء وقبل سورة السجدة، وقد عدت الثانية والسبعين في ترتيب نزول السور، وآيها مائة وثمان وعشرون بلا خلاف »[1].

ومما يتضح أنَّ لهذه السورة المباركة اسم آخر يعرف بالنعم لأنَّها تذكر في ثنايا آياتها المحكمات نعم الله العظيمة التي وفرها لخلقه.

ب-صلتها بما قبلها وبعدها:

أ-صلتها بما قبلها:

لكل سورة كريمة لها علاقة ورابط يربطها بما قبلها من السور لذا فإن سورة النحل لها صلة بالسورة التي قبلها ألا وهي سورة الحجر وذلك بعد قوله تعالى: «﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ بقوله عز وجل: «﴿أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾ المناسب لذلك على ما ذكر غير واحد في معناه وسبب نزوله. وفي البحر في بيان وجه الارتباط أنَّه تعالى لما قال: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينْ﴾ كان ذلك تنبيها على حشرهم يوم القيامة وسؤالهم عما فعلوه في الدنيا فقيل: ﴿أَتَى أَمْرُ اللَّهِ﴾ فإن المراد به على قول الجمهور يوم القيامة، وذكر الجلال السيوطي أنَّ آخر الحِجر شديدة الالتئام بأول هذه فإن قوله تعالى: ﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ

[1]- محمد الطاهر بن عاشور: التحرير والتنوير، دط ، الدار التونسية ، تونس، 1984 ، ج14، ص:493.

حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ الذي هو مفسر بالموت ظاهرا لمناسبة بقوله سبحانه هنا: ﴿أَتَى أَمْرُ اللَّهِ﴾ وانظر كيف جاء في المتقدمة (يأتيك) بلفظ المضارع وفي المتأخرة (أتى) بلفظ الماضي لأنَّ المستقبل سابق على الماضي كما تقرر في محله، والأمر واحد الأمور وتفسيره بيوم القيامة كما قال في البحر، وفسر بما يعمه وغيره من نزول العذاب الموعود للكفرة»[1].

ومن الملاحظ أن سورة الحجر اختتمت بلفظة المضارع "يأتيك" الدالة على الموت الذي هو لاحق كل مخلوق ونسب الإتيان إليه للإيذان بأنه متوجه إلى الحي قاصدا للوصول إليه والمعنى من هذا اعبدوا الله مادمت أحياء وافتتاح سورة النحل بلفظ الماضي "أتى"أي الساعة وغيرها من العذاب الموعود للكفرة ومن المعلوم أنَّ المستقبل سابق الوقوع أكثر من الماضي.

ب- صلتها بما بعدها:

أما فيما يخص صلة سورة النحل بما بعدها -كما قال الجلال السيوطي- «أنَّه سبحانه لما قال في آخرها ﴿إِنَّمَا جُعِلَ السَّبْتُ عَلَى الَّذِينَ اِخْتَلَفُوا فِيهِ﴾ ذكر في هذه شريعة أهل السبت التي شرعها سبحانه لهم في التوراة فقد أخرج ابن جرير عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أنَّه قال: إنَّ التوراة كلها في خمس عشرة آية من سورة بني إسرائيل، وذكر تعالى فيها عصيانهم وإفسادهم وتخريب مسجدهم واستفزازهم النبي صلى الله عليه وسلم وإرادتهم إخراجه من المدينة وسؤالهم إياه عن الروح ثم ختمها جل شأنه بآيات موسى عليه السلام التسع وخطابه مع فرعون وأخبر تعالى أنَّ فرعون أراد أن يستفزهم من الأرض فأهلك وورث بني إسرائيل من بعده وفي ذلك تعريض بهم أنَّهم سينالهم ما نال فرعون حيث أرادوا بالنبي صلى الله تعالى عليه وسلم ما أراد هو بموسى

[1]- شهاب الدين الألوسي: روح المعاني ، تع محمد شكري الألوسي البغدادي ، ط1، دار إحياء التراث العربي ، بيروت، دت ، ج14، ص:90.

عليه السلام وأصحابه، ولما كانت هذه السورة مصدرة بقصة تخريب المسجد الأقصى افتتحت بذكر إسراء المصطفى صلى الله تعالى عليه وسلم تشريفا له بحلول ركابه الشريف جبرا لما وقع من تخريبه»[1].

يكمن وجه ارتباط سورة النحل بسورة الإسراء بأن الله تعالى اختار محمد صلى الله عليه وسلم بأن يكون هو الوارث لأصول إبراهيم، فجعل لليهود دين يغاير ملة إبراهيم فدعى سبحانه وتعالى بني اسرائيل تغير يوم السبت الذي اختلفوا فيه على نبيهم فنبههم الله تعالى بتغييره حتى لا يكونوا عرضة لنسخ دينهم بدين عيسى عليه السلام.

ج-موضوعات سورة النحل:

تعالج سورة النحل كسائر السور المكية موضوعات عديدة أهمها:« موضوعات العقيدة الكبرى: الألوهية. والوحي. والبعث. ولكنها تلم بموضوعات جانبية أخرى تتعلق بتلك الموضوعات الرئيسية. تلم بحقيقة الوحدانية الكبرى التي تصل بين دين إبراهيم – عليه السلام– ودين محمد –صلى الله عليه وسلم– وتلم بحقيقة الإرادة الإلهية والإرادة البشرية فيما يختص بالإيمان والكفر والهدى والظلال. وتلم بوظيفة الرسل، وسنة الله في المكذبين لهم. وتلم بموضوع التحليل والتحريم وأوهام الوثينة حول هذا الموضوع. وتلم بالهجرة في سبيل الله، وفتنة المسلمين في دينهم، والكفر بعد الإيمان وجزاء هذا كله عند الله.

ثم تضيف إلى موضوعات العقيدة موضوعات المعاملة: العدل والإحسان والإنفاق والوفاء بالعهد، وغيرها من موضوعات السلوك القائم على العقيدة.. وهكذا هي مليئة حافلة من ناحية الموضوعات التي تعالجها.

[1]- شها ب الدين الألوسي : المصدر السابق، ج15، ص:02.

فأما الإطار الذي تعرض فيه هذه الموضوعات، والمجال الذي تجري فيه الأحداث، فهو فسيح شامل.. هو السماوات والأرض. والماء الهاطل والشجر النامي. والليل والنهار والشمس والقمر والنجوم. والبحار والجبال والمعالم والسبل والأنهار. وهو الدنيا بأحداثها ومصائبها، والآخرة بأقدارها ومشاهدها. وهو الغيب بألوانه وأعماقه في الأنفس والآفاق»[1]

بالإضافة إلى هذه الموضوعات هناك مشتملات ارتكزت عليها هذه السورة أهمها:

«1.أنها أشارت إلى أن عذاب الله واقع ما له من دافع، على من يستحق من الطغات العتاة.

2.أنها بينت أنّ الله سبحانه خلق السماوات والأرض من العدم بالحق والحكمة، وخلق الإنسان من نطفة من ماء مهين ثم سواه إنسانا سويا.

3. وأن من رحمة الله بخلقه أنَّه أسقط لهم المطر يستغلونه في الشرب وإعداد الطعام وسقي المواشي وزراعة الأرض لتخرج أنواع الثمار والفواكه والبقول وغيرها.

4.وأن الله سبحانه هو الذي خلق الخلق بحكمته وقدرته وغمرهم بإحسانه وفضله فهو وحده الجدير بالعبادة

5.أنَّ الموت نهاية كل إنسان والناس إزاءه فريقان: فريق تتوفاه ملائكة العذاب ومصيره إلى جهنم وبئس المصير، وفريق مؤمن تتوفاه ملائكة الرحمة فتبشره بالثواب الجزيل في الدنيا والآخرة.

6.وبينت السورة أنَّه تعالى لم يرسل قبل محمد ملائكة حتى يحتجوا بهذا، وإنَّما أرسل رجالا أوحى إليهم برسالاته.

[1]- سيد قطب: في ظلال القرآن، دط ، دار الشروق، دت، مج4 ، ج14، ص:2158.

7.وبينت السورة أنَّه تعالى أرسل الرسل إلى الأمم السابقة فكذبوهم فأصابهم ما يستحقونه من العذاب.

8.وبينت أنَّ الله خلقنا ثم قدر علينا الموت.

9.وأنَّه لا يستوي العجزة والقادرون ولا الأغبياء ولا الأذكياء، وللجميع نهاية يوم القيامة الذي يباغت به الجميع مباغتة تقع كطرفة العين.

10.ومن نعم الله العديدة علينا أنّه هدانا لاتخاذ البيوت المستقرة، كما هدانا لأنْ نتخذ البيوت المستقلة من الخيام المصنوعة من جلود الأنعام.

11.أن الله سبحانه أمر عباده بمراعاة العدل والإحسان وصلة الأرحام ونهاهم عن ارتكاب الأثام.[1]»

تحفل هذه السورة بكثير من الموضوعات و المشتملات معظمها يدور حول العقيدة ووحدانية الله وقدرته وحكمته ورحمته بخلقه وأمرهم بإتباع دعوة نبيهم بمراعاة العدل والإحسان وصلة الأرحام والرفق والموعظة الحسنة واجتناب كل ما يغضب الله وما إلى ذلك من الموضوعات التي ارتكزت عليها حتى يتم معرفة محتواها وإدراك مضمونها .

[1]- محمد سيد طنطاوي: التفسير الوسيط للقرآن الكريم، ط1،دار نهضة مصر،القاهرة،1997م،مج 5،ج5، ص:586-588.

الفصل الأول: بلاغة الالتفات بالضمائر في سورة النحل

المبحث الأول: الالتفات بين الغيبة والخطاب

المبحث الثاني: الالتفات بين الغيبة والتكلم

المبحث الثالث: الالتفات بين التكلم والخطاب

المبحث الرابع: الالتفات بين المضمر والظاهر

المبحث الخامس: الالتفات بين التذكير والتأنيث

تمهيد:

الالتفات من أهم المحسنات البديعية الأكثر ورودًا في القرآن الكريم، له مجالات متعددة من بينها الالتفات بالضمائر الذي يتحقق كلما تخالف ضميران في نسق واحد، من ذلك مثلا: المخالفة بين أنواع الضمائر الثلاثة (غيبة، خطاب، تكلم) ويتضمن أيضا الانتقال بين ضميري الإضمار والإظهار وكذلك بين تأنيث الضمير وتذكيره.

المبحث الأول: الالتفات بين الغيبة والخطاب

يستعمل الالتفات بين الغيبة والخطاب في إثارة المعاني والتفنن فيها والهدف منه التوسع في الكلام، لأنَّ التحول من صيغة إلى صيغة يُلفت إنتباه السامع وهذا ما ذكره عبد العزيز قلقيلة: «ويفعل الأديب ذلك جريا على عادة العرب من افتنانهم في الكلام وتوسعهم فيه، ولأنَّ الكلام إذا نقل من أسلوب إلى أسلوب كان أكثر إثارة لنشاط السامع، وإيقاظا للإصغاء إليه من إجرائه على أسلوب واحد ولأمور بلاغية أخرى»[1].

أما ابن الأثير في كتابه" المثل السائر"يذكر سبب إعتماد العرب لهذا النوع في كلامهم حيث يقول:« اعلم أنَّ عامة المنتمين إلى هذا الفن إذا سئلوا عن الانتقال عن الغيبة إلى الخطاب، وعن الخطاب إلى الغيبة، قالوا: كذلك كانت عادة العرب في أساليب كلامها. وهذا القول هو عكاز العميان، كما يقال: ونحن إنَّما نسأل عن السبب الذي قصدت العرب ذلك من أجله»[2].

[1]- عبد العزيز قلقيلة : البلاغة الاصطلاحية ، ص:317.
[2]- ضياء الدين ابن الأثير: المثل السائر ، ج2 ، ص:168.

المطلب الأول: الالتفات من الغيبة إلى الخطاب

الانصراف من ضمير الغيبة إلى ضمير الخطاب يُستعمل فِي تنويع أسلوب الكلام ومن ذلك يفهم أنَّ الحديث لا يجري على وتيرة واحدة لأنَّه يشتمل ضميرين مختلفين وهذا التحول يراعي المعنى المقصود للالتفات وذلك المعنى يتفرع فروعا كثيرة يؤتى بها على حسب الموطن الذي ترد فيه .

وفي هذا يقول الزمخشري رحمه الله:« إنَّ الرجوع من الغيبة إلى الخطاب إنّ ما يستعمل للتفنن في الكلام والانتقال من أسلوب إلى أسلوب، تطريةً لنشاط السامع، وإيقاظًا للإصغاء إليه»[1].

ومن أمثلة هذا النوع الخاص بالانتقال من الغيبة إلى الخطاب ذكر ابن الأثير أمثلة على ذلك قوله تعالى:«﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (2) الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (3) مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ (4) إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ (5) اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ (6) صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾[الفاتحة: 1-6].

هذا رجوع من الغيبة إلى الخطاب، وممَّا يختص به هذا الكلام من الفوائد قوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ بعد قوله:﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ فإنَّه إنَّما عدَّل فيه من الغيبة إلى الخطاب، لأنَّ الحمد دون العبادة ألا تراك تحمد نظيرك ولا تعبده؟ فلمَّا كانت الحال كذلك استعمل لفظ "الحمد" لتوسطه مع الغيبة في الخبر، فقال: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ ولم يقل: الحمد لك، ولمَّا صار إلى العبادة التي هي أقصى الطاعات قال: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾

[1]- ضياء الدين ابن الأثير: المصدر السابق، ج2 ، ص:168.

فخاطب بالعبادة إصراحًا بها، وتقرُبا منه عزَّ اسمه بالانتهاء إلى محدود منها. وهذه السورة قد انتقل في أولها من الغيبة إلى الخطاب، لتعظيم شأن المخاطب»[1].

وقوله تعالى:«﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا﴾[مريم:88-89] ولم يقل: (لقد جاءوا) للدلالة على أنَّ منْ قال مثل قولهم ينبغي أن يكون موبِّخا عليه، منكرًا عليه قوله، كأنَّه يُخاطب به قوما حاضرين.

وقوله:﴿وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ﴾ [مريم:39] ،ثم قال:﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾[مريم: 71]. وقوله:﴿وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً﴾ [الإنسان: 21-22].

ومنه قوله تعالى:﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا﴾ [المائدة:06] وهو عجيب لأنَّ "الذين" موصول لفظة للغيبة، ولابد له من عائد وهو الضمير في "آمنوا" فكيف يعود ضمير مخاطب على غائب؟ فهذا مما لا يعقل»[2].

*وفي مايلي أمثلة عن هذا النوع من الالتفات الخاص بالضمائر ممَّا تيسَّر في سورة النحل مع تفسير كُل آية وشرح نوع الالتفات الحاصل فيها مع استخراج غرضها البلاغي.

النموذج الأول: قول الله تعالى: ﴿ الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ فَأَلْقَوُا السَّلَمَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ بَلَى إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [النحل:28].

« تسوق هذه الآية مشهدا من مشاهد النهاية لحياة الظالمين المُصرين على الكفر وهو أنَّ ملائكة العذاب حين تقبض أرواحهم وهم ظالمون لأنفسهم بالكفر والعصيان يستسلمون زاعمين أنَّهم لمْ يرتكبوا إثمًا في حياتهم، وأنَّهم ما كانوا يعملون السوء، فترد

[1]- ضياء الدين ابن الأثير: المثل السائر، ج2 ، ص:170،171.
[2]- الزركشي :البرهان في علوم القرآن ،ج3 ، ص:322-324.

عليهم الملائكة قائلة: ﴿ بَلَى إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ :أي نعم قد عملتهم السوء، إنَّ الله سبحانه واسع العلم، محيط بكل ما كنتم تعملونه قبل وفاتكم، فكيف تكذبون على من لا تخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء»[1].

فالالتفات الواقع هنا في هذه الآية الكريمة بين ضميري الغيبة والخطاب، فضمير الغيبة يظهر في قوله تعالى: ﴿ الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ﴾، ثم ينتقل إلى ضمير الخطاب في قوله تعالى: ﴿...بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾،والتأويل أن يُقال: بما كانوا يعملون. والغرض البلاغي المستنبط من وراء هذا الالتفات هو تهديد ووعيد الله لعباده لأنَّه يعلم ما كانوا يعملون فلا ينفع نكراهم واستسلامهم حين يرون الملائكة تقبض أرواحهم وهم ظالمون.

النموذج الثاني: قوله تعالى: ﴿ أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [النحل:47].ويقدم أبو السعود تفسير هذه الآية بأنَّ قوله تعالى:«﴿أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ﴾أي مخافة وحذر عن الهلاك والعذاب بأنْ يهلك قوما قبلهم فيتخوفوا فيأخذهم العذاب وهم متخوفون وحيث كانت حالتا التقلب والتخوف مظنة للهرب عبَّر عن إصابة العذاب فيهما بالأخذ وعن إصابته حالة الغفلة المنبئة عن السكون بالأتيان وقيل التخوف التنقص ﴿ فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ حيث لا يعاجلكم بالعقوبة ويحلم عنكم مع استحقاقكم لها»[2]. وجاء في تفسير الآلوسي عن هذا العدول إلى الخطاب حكمة يقول فيها: «(والتعبير بعنوان الربوبية مع الإضافة إلى ضمير الخطاب من آثار رحمته جلَّ شأنه)»[3]

[1]- محمد سيد طنطاوي : التفسير الوسيط ،ج5 ، ص:607.
[2]- أبو السعود: تفسير أبي السعود المسمى إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم ، دط ، دار المصحف ، لبنان ، دت ، ج5 ، ص:117.
[3]-شهاب الدين الألوسي: روح المعاني ،ج14، ص:153.

حيث جاء الكلام على طريق الغيبة في قوله: ﴿ أَوْ يَأْخُذَهُمْ﴾ ، ثم عبَّرَ عنه بطريق الخطاب في قوله: ﴿ فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ ، وكان مقتضى ظاهر السياق أن يقول: فإنَّ ربهم.

والغرض البلاغي من وراء هذا الالتفات هو التخويف من العذاب الذي يلقونه بعد الموت وفي هذا التخويف رحمة ورأفة من الله ليتوب التائب.

النموذج الثالث: قول الحق تبارك وتعالى: ﴿ لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: 55].

ولقد أشار أحد المفسرين في تفسير هذه الآية بأنَّهم « قد فعلوا ذلك لتكون عاقبة أمرهم الكفر والجحود بأنْعم الله عليهم، مع أنَّه تعالى هو المتفضل عليهم بالنعم، ويكشف البلاء والضُرَّ عنهم، والذي حملهم على هذا الكفر والجحود هو خبث طويتهم، وما ران على قلوبهم من الكفر والجحود والعصيان. ثمَّ يتوعدهم تعالى ويقول لهم: اعملوا ما شئتم، وتمتعوا بما أنتم فيه قليلا، فسوف تعلمون عاقبة ذلك»[1].

فالالتفات الضمائري الحاصل في هذه الآية الكريمة من ضمير الغيبة في قوله:﴿لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ﴾،إلى الضمير الخطاب في قوله تعالى:﴿ فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ ، وكان مقتضى ظاهر السياق أن يقول: فيتمتعوا فسوف يعلمون .وكان من وراء هذا الانتقال غرض بلاغي يتمثل في التوعد والتهديد، فقد توعدهم سبحانه تعالى بحلول العذاب عليهم فقال ﴿فتمتعوا﴾ والمراد منه التهديد عقابا لأعمالهم السيئة وعصيانهم وكفرهم.

[1]- أسعد محمود حومد:أيسر التفاسير ، تح إبراهيم السلقيني ، ط4 ، دد ، دمشق ، 1419هـ/2009م ،ج1 ، ص:641.

النموذج الرابع: قوله تعالى أيضا: ﴿ وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيبًا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ تَاللَّهِ لَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنْتُمْ تَفْتَرُونَ﴾ [النحل: 56]

حيث :«يخبر الله تعالى أنَّ المشركين الذِين عبدوا مع الله غيره، جعلوا للأصنام والأوثان التي لا يعلمون لها ضرا ولا نفعا، نصيبًا ممَّا رزقهم الله. فأقسم تعالى بنفسه الكريمة ليسألنَّهم عن ذلك الإفتراء والإفك، وليقابلنَّهم عليه، وليجازينَّهم أوفي الجزاء، يوم القيامة.

قوله تعالى: ﴿ وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ﴾ – أي الآلهة التي عبدوها وهم لا يعلمون لها شيئا من الصفات التي يجب أن تتوفر في من يعبد وتفترون –تكذبون على الله» [1].

وتتضمن الآية التفات جار وفق الغيبة في قوله: ﴿ وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيبًا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ﴾ ، ثم انتقل إلى ضمير الخطاب في قوله: ﴿ لَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنْتُمْ تَفْتَرُونَ﴾، وكان التأويل أن يقال: ليسألن عمَّا كانوا يفترون.

والغرض البلاغي من وراء هذا الالتفات في هذه الآية هو التوبيخ والتقريع، لأنَّ الله سبحانه وتعالى أقسم بنفسه الكريمة أنْ يقابل المشركين الذين يعبدون غيره بأنْ يسألهم سؤال توبيخ وتهديد تقريعا لكفرهم

المطلب الثاني: من الخطاب إلى الغيبة

الانصراف من الخطاب إلى الغيبة لون من ألوان الالتفات له أثر ووقعٌ على السامع يستعمله الأدباء في تغيير أسلوب الكلام وتنويعه وهو شائع بكثرة في البلاغة عامة والقرآن خاصة ومن أمثلته:

[1]- أسعد محمود حومد : المصدر السابق ، ج1 ، ص:641.

قوله سبحانه:«﴿ إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ (92) وَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ كُلٌّ إِلَيْنَا رَاجِعُونَ﴾ [الأنبياء:92-93]. جاء الكلام على طريق الخطاب في قوله: ﴿ أُمَّتُكُمْ..رَبُّكُمْ..فَاعْبُدُونِ﴾ ، ثم عبَّر عنهم بطريق الغيبة في قوله: ﴿ وَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ﴾.قال الزمخشري في سر هذا الالتفات: (كأنَّهُ ينعي عليهم ما أفسدوه إلى آخرين ويقبح عندهم فعلَّهم: ألا تَرون إلى عظيم ما ارتكب هؤلاء في دين الله)»[1].

وكذلك قوله تعالى:«﴿ هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَنْجَيْتَنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ [يونس:22].

فإنَّه إنَّما صرف الكلام هاهنا من الخطاب إلى الغيبة لفائدة، وهي أنَّه ذكر لغيرهم حالهم، ليعجِّبهم منها كالمخبر لهم، ويستدعي منْهم الإنكار عليهم، ولو قال: حتى إذا كنتم في الفلك وجرين بكم بريح طيبة وفرحتم بها، وساق الخطاب معهم إلى آخر الآية لذهبت تلك الفائدة التي أنتجها خطاب الغيبة، وليس ذلك بخافٍ عن نقدة الكلام»[2].

*ومن نماذج هذا النوع من الخطاب إلى الغيبة مما احتوت عليه سورة النحل:

النموذج الأول: قوله تعالى: «﴿ أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [النحل:01].

في هذه الآية يخبر الله تعالى أنَّهم « كانوا يستعجلون ما وعدوا من قيام الساعة أو نزول العذاب بهم يوم بدر استهزاءًا وتكذيبًا بالوعد فقيل لهم: ﴿ أَتَى أَمْرُ اللَّهِ﴾ الذي هو بمنزلة الآتي الواقع وإنْ كان منتظرا لقرب وقوعه ﴿ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾ روي: أنَّه لمَّا نزلت

[1]-عيسى علي العاكوب وآخرون :الكافي في علوم البلاغة العربية معاني- بيان- بديع ، دط ، الجامعة المفتوحة ،1992م، ص:152.

[2]-ضياء الدين ابن الاثير: المثل السائر، ج2، ص:177،178.

اقتربت الساعة قال الكفار فيما بينهم: إنَّ هذا يزعم أنَّ القيامة قد قربت، فأمسكوا عن بعض ما تعملون حتى ننظر ما هو كائن. فلما تأخرت قالوا: ما نرى شيئا. فنزلت: ﴿اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ﴾ [الأنبياء:01] فأشفقوا وانتظروا قربها فلمَّا امتدت الأيام قالوا يا محمد ما نرى شيئا ممَّا تخوفنا به.

فنزلت: ﴿ أَتَى أَمْرُ اللَّهِ﴾ فوثب رسول الله صلى الله عليه وسلم، ورفع الناس رؤوسهم، فنزلت: ﴿ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾ فأطمأنوا وقرئ: تستعجلوه بالتاء والياء﴿ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ تبرأ عزّ وجل عن أنْ يكون له شريك وأن تكون آلهتهم له شركاء، أو عن إشراكهم»[1].

ويظهر الالتفات في قوله تعالى:﴿.. فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ..﴾ ، بصيغة الخطاب ثم انتقل إلى صيغة الغيبة في قوله: ﴿ ..عما يشركون﴾، وكان مقتضى ظاهر السياق أن يقول: عما تشركون.

والغرض البلاغي من وراء هذا الالتفات في مطلع هذه الآية صدر بالوعيد المتمثل في سورة الخبر ثم انتقل إلى النهي عن استعجال العذاب الذين كانوا يستهزءون به.

النموذج الثاني: قوله تعالى:﴿ وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾ [النحل:15–16].فسر الرازي قوله تعالى:«﴿أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ﴾ خطاب الحاضرين وقوله :﴿وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾ خطاب للغائبين والسبب إنّ قريش كانت تكثر أسفارها لطلب المال ، ومن كثرت أسفاره كان علمه بالمنافع الحاصلة من الاهتداء بالنجوم أكثر وأتم فقوله:﴿وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾ إشارة إلى قريش. وإختلف المفسرون فمنهم من قال قوله:﴿وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴾ مختص بالبحر، لأنه تعالى لما ذكر صفة البحر وما فيه من المنافع بين أنَّ من يسيرون فيه يهتدون

[1]- الزمخشري : تفسير الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، ص:566.

بالنجم ومنهم من قال: بل هو مطلق يدخل فيه السير في البر والبحر ومن الفقهاء من يجعل ذلك دليلا على أن المسافر إذا عميت عليه القبلة فإنَّه يجب عليه أن يستدل بالنجوم وبالعلامات التي في الأرض، وهي الجبال والرياح، وذاك صحيح ،لأنَّه كما يمكن الإهتداء بهذه العلامات في معرفة الطرق والمسالك فكذلك يمكن الاستدلال بها في معرفة طلب القبلة»[1].

وتتضمن هذه الآية التفات في قوله تعالى:﴿...أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ...لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾، بصيغة الخطاب ثم التفت إلى صيغة الغيبة في قوله تعالى:﴿...هُمْ يَهْتَدُونَ﴾،وكان مقتضى ظاهر السياق أن يقال: أنتم تهتدون.

والغرض البلاغي من رواء هذا الانصراف هو التذكير بعظمة الله سبحانه وتعالى وكذا تذكير عباده بالنعم التي سخَّرها لهم.

النموذج الثالث: قول الله عز وجل: ﴿ ثُمَّ كُلِي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل:69].

وجاء في تفسيرها«﴿ثُمَّ كُلِي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ﴾ من كل ثمرة تشتهيها مُرها وحُلوها﴿فَاسْلُكِي﴾ ما أكلت ﴿ سُبُلَ رَبِّكِ﴾ في مسالكه التي يجعل فيها بقدرته النور المر عسلا من أجوافك، أو فاسلكي الطرق التي ألهمك في عمل العسل. أو﴿ فَاسْلُكِي﴾، راجعة إلى "بيوتك" ﴿ سُبُلَ رَبِّكِ﴾ لا تتوعر عليك ولا تلتبس ﴿ ذُلُلًا﴾ جمع ذلول وهي حال من السبل أي مذللة ذلَّلها الله تعالى وسهلها لك. أو من الضمير فِي﴿ أَسْلُكِي﴾ أي وأنت ذلل

[1]- محمد الرازي فخر الدين : تفسير الفخر الرازي ، ط1، دار الفكر ، بيروت ،1401هـ/1981م ، ج20، ص:10،11.

منقادة لما أُمرت به.﴿يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا﴾ عدَّل به عن خطاب النحل إلى خطاب الناس لأنَّه محل الإنعام عليهم » [1].

فالالتفات الحاصل في هذه الآية الكريمة هو ذلك العدول من ضمير الخطاب إلى ضمير الغيبة، ويظهر ضمير الخطاب في قوله: ﴿ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ..﴾ ، ثم ينتقل إلى ضمير الغيبة في قوله: ﴿...يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا﴾، وكان التأويل أن يقال: يخرج من بطونك.

والغرض المتضمن في هذا الالتفات هو التذكير بتعداد النعم والتنبيه بالتدبر على أخذ العبرة من مخلوقات الله عزَّوجلَّ.

النموذج الرابع: قول الحق تبارك وتعالى: ﴿ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ﴾ [النحل:72]

وفي هذه الآية « يخبر تعالى عن منَّته العظيمة على عباده، حيث جعل لهم أزواجا ليسكنوا إليها، وجعل لهم من أزواجهم أولادًا تقرُّ بهم أعينهم ويخدمونهم، ويقضون حوائجهم، وينتفعون بهم من وجوه كثيرة، ورزقهم من الطيبات، من جميع المآكل والمشارب والنعم الظاهرة التي لا يقدر العباد أن يحصوها.﴿ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ﴾ أي: يؤمنون بالباطل الذي لم يكن شيئا مذكورا، ثم أوجده الله، وليس له من وجوده سوى العدم، فلا تخلق، ولا ترزق، ولا تدبر من الأمر شيئا، وهذا عام لكل ما عبد من دون الله، فإنَّها باطلة، فكيف يتَّخذها المشركون من دون الله ؟!! .﴿وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ هُمْ

[1]- مصطفى القجوي الحنفي: حاشية محي الدين شيخ زاده ، تح محمد عبد القادر شاهين ، ط1 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1419هـ/1999م ، ج5 ، ص:297.

يَكْفُرُونَ﴾ يجحدونها، ويستعينون بها على معاصي الله والكفر به، هل هذا إلاَّ من أظلم الظلم، وأفجر الفجور، وأسفه السفه؟!! »[1].

وفي هذه الآية التفات حيث جرى الكلام على طريقة الخطاب في قوله: ﴿ ....جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ....وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ....وَرَزَقَكُمْ﴾، ثم انتقل إلى طريق الغيبة فقال: ﴿أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ﴾ ، وكان مقتضى ظاهر السياق أن يقول: أفبالباطل تؤمنون وبنعمة الله أنتم تكفرون. والغرض البلاغي الذي احتوى عليه هذا الالتفات هو تعجب الله من عباده الذين يؤمنون بالباطل ويكفرون بنعمه وينكرونها.

النموذج الخامس: قول الله تعالى:﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِمَّا خَلَقَ ظِلَالًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ وَسَرَابِيلَ تَقِيكُمْ بَأْسَكُمْ كَذَلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ الْمُبِينِ﴾ [النحل:81–82].

يذكر أحد المفسرين في قوله تعالى:«﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِمَّا خَلَقَ﴾ من الشجر والجبال والأبنية وغيرها ﴿ظِلَالًا﴾ تتفيؤون به حر الشمس ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا﴾ مواضع تسكنون بها من الكهوف والبيوت المنحوتة فيها جمع كن ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ﴾ ثيابا من الصوف والقطن وغيرها ﴿تَقِيكُمُ الْحَرَّ﴾ خصَّه بالذكر اكتفاءًا بأحد الضدين أولا وقاية الحر كانت أهم عندهم ﴿وَسَرَابِيلَ تَقِيكُمْ بَأْسَكُمْ﴾ يعني الدروع والجواشن والسربال يعم كل ما يلبس ﴿كَذَلِكَ﴾ كإتمام هذه النعم التي تقدمت ﴿يُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ﴾ أي تنظرون في نعمه فتؤمنون به أو تنقادون لحكمه وقرئ تسلمون من السلامة أي تشكرون فتسلمون من العذاب أو تنظرون فيها فتسلمون من الشرك وقيل تسلمون من

[1]- عبد الرحمان بن ناصر السعدي : تيسير الكريم الرحمان في تفسير كلام المنان، تح عبد الرحمان بن معلا اللويحق ، ط1 ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، 1423هـ/2002م ، ص:444.

الجراح بلبس الدروع ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا﴾ أعرضوا ولم يقبلوا منك ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ الْمُبِينِ﴾ فلا يضرك فإنَّما عليك البلاغ وقد بلغت هذا من إقامة السبب مقام المسبب»[1].

تتضمن الآية التفات في قوله تعالى: ﴿لَكُمْ﴾ التي ذكرت ثلاث مرات ثم قوله تعالى: ﴿تَقِيكُمْ﴾ وكذا قوله:﴿عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ﴾ ، بصيغة الخطاب ثم انصرف إلى صيغة الغيبة في قوله تعالى: ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا﴾ ، وكان من التأويل أن يقال: فإن تتولوا.

والغرض البلاغي من وراء هذا الالتفات في صدر الآية هو التذكير بتعداد نعم الله تعالى التي وفرها لخلقه للانتفاع بها وقت الحاجة، أما الغرض البلاغي في الآية الموالية هو تبيين وتبليغ أوامر الله ونواهيه.

المبحث الثاني: الالتفات بين الغيبة والتكلم

يستعمل الالتفات بين الغيبة والتكلم في تحسين الكلام والتفنن فيه والتحول بين ضميرين، الهدف منه هو التنويع في المعاني ،والالتفات في هذا النوع له أغراض بلاغية منها «قصد الدلالة على الاختصاص وقصد الاهتمام»[2].

المطلب الأول: من الغيبة إلى التكلم

يتمثل في التحول من ضمير غائب إلى ضمير حاضر ابتعادا عن إعادة الضمير وتكراره في نفس العبارة حتى يبدو الكلام مستساغًا وهذه عادة العرب في أساليب كلامهم وهو ما جعل اللسان العربي أكثر فصاحةً وبلاغةً .

ومن أمثلته قوله تعالى:«﴿وَاللَّه الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَاهُ﴾ [فاطر: 09]، قال: ﴿وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ﴾ فجرى على طريق الغيبة، ثم قال ﴿فَسُقْنَاهُ﴾ وكان

[1]- البيضاوي: حاشية الشهاب المسماة عناية القاضي وكفاية الراضي ، دط ، دار صادر، بيروت ، دت ، ج5 ، ص:360.
[2]- أحمد مطلوب وآخرون: أساليب بلاغية الفصاحة-البلاغة-المعاني ، ط1 ، وكالة المطبوعات ، الكويت ، دت ، ص:278.

مقتضى الظاهر أنْ يقول فساقه، ولكنَّه انتقل إلى التكلم ليحدث إيقاظًا ولفتا عند هذا المقطع المهم من مقاطع المعنى لأنَّ سوق السحاب إلى الأرض الميتة فتحيا ضرب من قسمة الأرزاق فناسب أن ينتقل الإسناد إلى ضمير ذي الجلالة سبحانه، ولهذا أيضا لم يسند إلى الريَّاح على طريق المجاز كما في الجملة السابقة ﴿فَتُثِيرُ سَحَابًا﴾، لأنّ إثارة السحاب ليس في خطورة سوقها واتجاهها نحو ما يشاء الله من عباده؛ الالتفات هنا يشير إلى أنّ الله سبحانه يسوق السحاب بذاته العلية ويقسمه رحمة ورزقا بيديه ولا يدع ذلك لأحد من خلقه.

وقد جاء ذلك مفصلا في سورة الأعراف ﴿حَتَّى إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَى﴾ [الأعراف:57].

ومنه قوله تعالى: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ (11) فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ﴾ [فصلت:11–12].جاء الكلام على طريق الغيبة في قصة خلق السموات والأرض وهي أخبار تروي من الغيب البعيد بيننا وبينها ملايين السنين هي عمر هذه الأرض، ثم انتقل إلى طريق التكلم في قوله: ﴿وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا﴾، وكان الالتفات هنا ذا مغزى مهم لأنّ السماء الدنيا وما فيها من كواكب من أظهر وأوضح الآيات التي تشير إلى القدرة الخالقة والتي بحث القرآن على النظر إليها كثيرا، الالتفات إذنْ كأنَّه لفت إلى الموضع الذي تؤخذ منه العبرة، وتدنوا به الحقيقة الدالة من القلوب المعتبرة»[1].

[1]-مجيد محمد أبو موسى: خصائص التراكيب دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني ،ط4، مكتبة وهيبة ،القاهرة، 1416هـ/1996م، ص:255 -259.

*ومن نماذج ما اشتملت عليه سورة النحل من هذا النوع:

النموذج الأول: قوله سبحانه وتعالى: ﴿يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ﴾ [النحل:02].

ورد في تفسير التحرير والتنوير لهذه الآية بأنّ« استعجالهم بالعذاب استهزاءا بالرسول –صلى الله عليه وسلم– و تكذيبه، وكان ناشئا عن عقيدة الإشراك التي من أصولها استحالة إرسال الرسل من البشر. وأتبع تحقيق مجيء العذاب بتنزيه الله عن الشريك ففي ذلك بتبرئة الرسول –عليه الصلاة والسلام– من الكذب فيما يبلغه عن ربّه ووصف لهم الإرسال وصفا موجزًا وهذا اعتراض في أثناء الاستدلال عن التوحيد. والمراد بالملائكة الواحد منهم وهو جبريل –عليه السلام– .والروح: الوحي. أطلق عليه اسم الروح على وجه الاستعارة لأنّ الوحي به هدى العقول إلى الحق. ومعنى من "أمره" الجنس، أي من أموره، وهي شؤونه ومقدراته التي استأثر بها. وقوله تعالى: ﴿عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ رد على فنون من تكذيبهم وأن ﴿أَنْذِرُوا﴾ تفسير لفعل ﴿ينزل﴾ لأنّه فيه تقدير ينزل الملائكة بالوحي.

وقوله ﴿بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ اعتراض واستطراد بين فعل ﴿ينزل﴾ ومفسره.﴿أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا﴾ متعلق بـــ (أنذروا) على حذف حرف الجر حذفا مطردا مع (أن).والتقدير: أنذروا بأنَّه لا إله إلا أنا. ولما كان هذا الخبر مسوقا للذين اتّخذوا مع الله آلهة أخرى وكان ذلك مثلا لا يستحقون عليه العقاب جعل إخبارهم بضد اعتقادهم وتحذيرهم مما هم فيه إنذارا. وفرع عليه ﴿فاتقون﴾ وهو أمر بالتقوى الشاملة لجميع الشريعة»[1].

[1]- محمد الطاهر بن عاشور: التحرير والتنوير ، ج14 ، ص:98-100.

وتتضمن الآية التفاتا في قوله تعالى:﴿يُنَزِّلُ﴾ ،وكذا قوله:﴿مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ﴾ ،وأيضا ﴿مِنْ عِبَادِهِ﴾، بضمير الغيبة ثم انتقل إلى ضمير التكلم في قوله:﴿أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ﴾، وكان التأويل أن يقال: إلا هو فاتقوه (لفظ الجلالة).

وفيما يخص الغرض البلاغي في هذا الالتفات من وراء هذه الآية هو إنذار العباد وأمرمهم بتقوى الله وتوحيده لأنَّه سبحانه وتعالى هو الخالق المدبر لهذا الكون الذي بيده ملكوت كل شيء.

النموذج الثاني: قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ فَأَلْقَوُا السَّلَمَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ بَلَى إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [النحل:28].

لقد سبق تفسير هذه الآية في موضع الالتفات من الغيبة إلى الخطاب حيث ذكر بأنّه لا سبيل للظالمين في إنكارهم لما ارتكبوا من معاصي لأنّ الله يعلم بما كانوا يعملون فلا ينفع استسلامهم حين مجيء الملائكة لقبض أرواحهم الخبيثة.

ويظهر الالتفات في قوله تعالى:﴿الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ﴾،من ضمير الغيبة ثم تحول إلى ضمير التكلم في قوله:﴿مَا كُنَّا نَعْمَلُ﴾،وكان التأويل أن يقال: ما كانوا يعملون .وفي هذا الالتفات غرض بلاغي هو تهديد ووعيد الله لعباده بحلول العذاب عليهم فلا ينفع كذبهم ونكرانهم لأعمالهم السيئة لأنّه تعالى واسع العلم لا يخفي عنه شيء.

النموذج الثالث: قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَأَجْرُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ [النحل:41].

ويذكر في تفسير هذه الآية بأنّ «هؤلاء قوم كان المشركون يعذبونهم على اعتقادهم الإيمان منهم صهيب وبلال، وذلك أن صهيبا قال لأهل مكة: أنا رجل كبير، إنْ كنت معكم لم أنفعكم، وإنْ كنت عليكم لم أضركم، خذوا مالي ودعوني فأعطاهم ما له وهاجر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له أبو بكر الصديق: ربح البيع يا صهيب، وقال عمر: نعم الرجل صهيب لو لم يخف الله لم يعصه ، تأويله لو أنّه أمن عذابه و عقابه لما ترك الطاعة ولجنح إلى المعصية لأمنه العذاب. ومعنى ﴿لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً﴾.[أي] لأنهم صاروا مع النبي صلى الله عليه وسلم ودخلوا في الإسلام سمعوا ثناء الله عليهم»[1].

وفي هذا الموضع التفات من ضمير الغيبة في قوله: ﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ...﴾، إلى ضمير التكلم في قوله ﴿لَنُبَوِّئَنَّهُمْ﴾، وكان مقتضى ظاهر السياق أن يقول: ليبوئنهم (لفظ الجلالة). والغرض المتضمن في هذا الالتفات هو جزاء الله ومكافأته للذين هاجروا في سبيله بأنّ ثوابهم الجنة وفي ذلك ترغيبا لغيرهم في طاعة الله تعالى.

النموذج الرابع: قول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ﴾ [النحل:51].

جاء في تفسير فخر الرازي قوله تعالى :«﴿إِنَّمَا هُو إِلَهٌ وَاحِدٌ ﴾والمعنى: أنَّه لما دلت الدلائل السابقة على أنَّه لابد للعالم من الإله، وثبت أن القول بوجود الإلهين محال ، ثبت أنَّه لا إله إلاّ الواحد الأحد الحق الصمد .ثم قال بعده﴿ فَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ﴾ وهذا رجوع من الغيبة إلى الحضور، والتقدير: أنّه لمّا ثبت أن الإله واحد وثبت أنّ المتكلم بهذا الكلام إله ، فحينئذ ثبت أنَّه لا إله للعالم إلاّ المتكلم بهذا الكلام ، فحينئذ يحسن منه أن يعدل من الغيبة إلى الحضور، ويقول﴿ فَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ ﴾ وفيه دقيقة أخرى وهي أنّ قوله

[1]- الزجاج أبو إسحاق إبراهيم بن السري : معاني القرآن وإعرابه ، تح عبد الجليل عبده شلبي ، ط1 ، عالم الكتب ، بيروت ، 1408هـ/1988م ، ج3 ، ص:199،200.

تعالى: ﴿ فَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ﴾ تفيد الحصر، وهو أنْ لا يرهب الخلق إلاَّ منه »[1]. ويذكر أبو السعود بأنَّ «الالتفات من الغيبة إلى التكلم لتربية المهابة و إلقاء الرهبة في القلوب»[2].

فالكلام جار وفق أسلوب الغائب في قوله:﴿إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ﴾ ، ثم انتقل إلى أسلوب التكلم في قوله: ﴿فَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ﴾ وكان من مقتضى ظاهر السياق أن يقال: فإيّاه فأرهبوه (هو لفظ الجلالة).والغرض البلاغي من وراء هذا الالتفات هو الترهيب والتخويف من أوامر الله ونواهيه فهو الذي ينفع ويضر فلا نافع ولا ضار غيره.

النموذج الخامس: قوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِذَا كَشَفَ الضُّرَّ عَنْكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْكُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ [النحل:54-55].

«أي: ثم إذا استجاب الله ربكم دعاءكم الذي جأرتم به إليه، رحمة ورأفة بكم، فجاء فريق منكم فأعلنوا شركهم بربَّهم المهيمن بصفات ربوبيته على كل شيء فيهم، وفي كل الكون من حولهم، فجعلوا ينسبون كشف الضر عنهم إلى الإله الباطل الذي يؤمنون به، أو إلى أسباب يجعلونها منفصلة عن إرادة الله وقضائه، يفعلون هذا لأجل أن يكفروا جاحدين بما آتاهم الله من فضله، حتى لا يلتزموا بما يجب عليهم من شكر الله ربهم، والقيام بطاعته وعبادته على مراده، في الدين الذي اصطفاه لعباده.

هذا الموقف الجحودي الاشراكي استدعى أن يقول الله عز وجل لهم بأسلوب الالتفات مهددا ومتوعدا:﴿...فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ أي: فتمتعوا في الحياة الدنيا بما أنعم الله ربكم به عليكم، فسوف تعلمون يوم الدين تحقيق ما توعدون به من عذاب أليم في الجحيم، خالدين فيها، جزاء كفركم بربّكم رب العالمين، وأنتم تعلمون، لكنكم تجحدون»[3].

---

[1]- محمد الرازي فخر الدين : تفسير الفخر الرازي ، ج20، ص:50.

[2]- أبو السعود: تفسير أبي السعود ، ج5 ، ص:119.

[3]- عبد الرحمان حسن حبنكة الميداني: معارج التفكر وحقائق التدبر ، ط1، دار القلم ، دمشق ، 1427هـ/2006م ، مج13، ص:580.

الالتفات الحاصل في هذه الآية الكريمة بين ضميرين، يظهر ضمير الغيبة في البداية في قوله:﴿بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ﴾ ، ثم ينتقل في الكلام إلى ضمير التكلم في قوله:﴿آتَيْنَاهُمْ﴾ ، ولو لم يعدل بالأسلوب إلى الالتفات لكان سياق الآية –بما أتاهم ربهم– تمشيا مع سابقه.

وفي هذا العدول إلى التكلم الذي يفي بي غرض بلاغي هو التهديد ووعيد الله للذين يتخذون شركاء معه ويجحدون نعمه عليهم بأنّهم سيعلمون عاقبة ما كانوا يفعلون.

النموذج السادس: قول الله تعالى: ﴿تَاللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَهُوَ وَلِيُّهُمُ الْيَوْمَ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النحل:63].

« يذكر تعالى أنّه أرسل إلى الأمم الخالية رسلا فكذبت الرسل، فلك يا محمد في إخوانك من المرسلين أسوة، فلا يهيدنك تكذيب قومك لك. وأمّا المشركون الذين كذّبوا الرسل فإنّما حملهم على ذلك تزيين الشيطان لهم ما فعلوه ﴿فَهُوَ وَلِيُّهُمُ الْيَوْمَ﴾ أي هم تحت العقوبة والنكال، والشيطان وليّهم، ولا يملك لهم خلاصا، ولا صريخ لهم، ولهم عذاب أليم»[1].

وتتضمن الآية التفات في قوله تعالى:﴿تَاللَّهِ﴾، بصيغة الغيبة تم التفت إلى صيغة التكلم بقوله: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا﴾،وكان التأويل أن يقال: لقد أرسل الله تمشيا مع نفس الضمير ولعلّ في هذا العدول غرض بلاغي ألا وهو التوكيد بالقسم حيث أقسم الله بنفسه الكريمة بحلول العذاب الأليم على الذين يتخذون الشيطان ولي لهم.

[1]- أبو الفداء إسماعيل ابن كثير: مختصر تفسير ابن كثير، تح محمد كريم راجح ، ط7، دار المعرفة ، بيروت ، 1420هـ/1999م ،ج1 ، ص:668.

النموذج السابع: قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ﴾ [النحل:65-66].

قد فسرت هذه الآية عند المفسرين بأنّها « بعد أن وعد الله المؤمنين بالجنة وأوعد الكفار بالنار في الآيات السابقة، عاد تعالى إلى التذكير بالدلائل عل وجوده سبحانه، وعلى وحدانيته، فقال: وكما جعل الله تعالى القرآن حياة للقلوب الميتة، كذلك جعل الله الماء حياة للأرض، فهو ينّزل المطر من السماء فيحي به الأرض بعد موتها، فينبت فيها الزرع والأشجار والنبات، ويخرج الثمار والحبوب، وفي ذلك آية لقوم يسمعون الكلام، ويفهمون معناه.

﴿الْأَنْعَامِ﴾ ﴿سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ﴾

وإنّ لكم، يا أيها الناس، في الأنعام لأية وعبرة، ودلالة على حكمة الخالق، ورحمته ولطفه بعباده. فهو تعالى يسقي الناس ممّا في بطون هذه الأنعام لبنا خالصا صافيا، طيب المذاق والطعم، لا يغصّ به شارب، ولا تشمئز منه نفسه (سائغا)، بعد أن يتحول طعام الحيوان في بطنه إلى دم ولبن وفضلات (فرث)، فيجري كل إلى موضعه خالصا لا يشوبه الآخر ولا يخالطه، ولا يؤثّر عليه» [1].

فكان الالتفات من أسلوب الغيبة في قوله: ﴿والله أنزل﴾،إلى أسلوب التكلم في قوله:﴿نُسْقِيكُمْ﴾، وكان مقتضى الظاهر أن يقال: يسقيكم تمشيا مع نفس السياق وفي هذا العدول غرض بلاغي هو التذكير بتعداد نعم الله وأخذ العبر من خلقه وإنّ في ذلك لدليل عل كمال قدرته ووحدانيته وعظمته.

[1]- أسعد محمود حومد: أيسر التفاسير ، ج1 ، ص:644.

النموذج الثامن: قوله تعالى: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَمَنْ رَزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنْفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا هَلْ يَسْتَوُونَ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [النحل:75].

فسرت هذه الآية عند الثعلبي « ثم ضرب الله تعالى مثل المؤمن والكافر فقال عزّ من قائل: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ﴾ هو مثل الكافر رزقه الله مالا فلم يقدّم خيرا ولم (يعمل) فيه بطاعة الله تعالى﴿وَمَنْ رَزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقًا فَهُوَ يُنْفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا﴾ هو مثل المؤمن أعطاه الله فعمل فيه بطاعة الله وأنفقه فيما يرضي الله سرّا وجهرّا فأثابه الله على ذلك النعيم المقيم في الجنة »[1].

الالتفات يظهر في قوله :﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا﴾ ،بصيغة الغيبة ثم انصرف إلى ضمير التكلم في قوله تعالى:﴿رَزَقْنَاهُ مِنَّا﴾ ، وهذا التحول بين الضميرين يفي إلى غرض بلاغي هو التنبيه في أخذ العبرة من المثال الذي قدَّمه على العبد المؤمن والعبد الكافر فجاء الاستفهام مستعمل في الإنكار بأنّ عباد الله والله لا يستويان فله الحمد والانتصار.

*وهناك نماذج أخرى في سورة النحل ظهر فيها هذا النوع من الالتفات ومنها:

النموذج التاسع: قوله تعالى: ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَةَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾ [النحل:83-84].

فقوله تعالى ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَةَ اللَّهِ﴾ ، انتقال من ضمير الغائب إلى ضمير التكلم في قوله تعالى:﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ﴾،وكان التأويل أن يقول: يوم نبعث هو" لفظ الجلالة"، والغرض من وراء هذا الانصراف التوبيخ والتقريع للذين ينكرون نعم الله في الآية الأولى أما في الآية الثانية الغرض منها هو التذكير بيوم الحساب.

[1]- إبراهيم الثعلبي : الكشف والبيان في تفسير القرآن ، تح سيد كسروي حسن ، ط 1، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1425هـ/2004م ، ج3 ، ص:528.

النموذج العاشر: قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يُفْسِدُونَ﴾ [النحل:88].

جاء الكلام عن طريق الغيبة في قوله:﴿...عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ ، ثم عبر عنه بطريق التكلم في قوله تعالى: ﴿زِدْنَاهُمْ﴾ ، وكان مقتضى ظاهر السياق أن يقول: زادهم الله. والغرض البلاغي من وراء هذا الالتفات هو تحذير الكافرون الذين يصدون عن سبيل الله.

النموذج الحادي عشر: قوله تعالى: ﴿مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النحل:96].الالتفات في قوله تعالى:﴿وَمَا عِنْدَ اللَّهِ﴾، بصيغة الغيبة ثم انتقل إلى صيغة التكلم في قوله:﴿وَلَنَجْزِيَنَّ﴾، وكان مقتضى الظاهر أن يقال: ليجزينّ، والغرض المستنبط من هذا الالتفات هو التوكيد القسمي مكافأة للذين تحملوا مشاق الدنيا.

النموذج الثاني عشر: قول الحق تبارك وتعالى:﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ شَاكِرًا لِأَنْعُمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ وَآتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [النحل:120–122].

فالحديث جار وفق أسلوب الغيبة في قوله تعالى:﴿الله﴾، ثم انتقل إلى أسلوب التكلم في قوله تعالى: ﴿وَآتَيْنَاهُ﴾، فهذا العدول يفي إلى غرض بلاغي هو تفخيم مكانه عليه السلام وكمال الاعتناء بشأنه.

المطلب الثاني: الالتفات من التكلم إلى الغيبة

هو أن يستعمل ضميرين مختلفين في نمط واحد فالتنقل من ضمير المتكلم إلى ضمير الغائب المراد به الإبقاء على المخاطب حاضر أو غائب وهو ما صرَّح به عيسى علي العاكوب بأنَّ: [1]

« وجهه أن يفهم السامع أنَّ هذا نمط المتكلم وقصده من السامع، حضر أو غاب، وأنّه في كلامه ليس ممن يتلون ويتوجهه، فيكون في المضمر ونحوه ذا لونين، وأراد بالانتقال إلى الغيبة الإبقاء على المخاطب ،من قرعه في الوجه بسهام الهجر، فالغيبة أروح له، وأبقى على ماء وجهه أن يفوت»[2].

وكذلك قوله سبحانه وتعالى:«﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ﴾ [الكوثر:1-2].

فقوله: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ﴾ تكلم، وقوله ﴿لِرَبِّكَ﴾ غيبة، لأن الاسم الظاهر من قبيل الغيبة، والأصل (فصلوا لنا)، ففيه التفات من التكلم إلى الغيبة، ويقول البلاغيون: (وبلاغة الالتفات في الآية تأتي من أنّ في لفظ الرب حثا على فعل المأمور به، لأنّه من غير ربك يستحق العبادة، وفيه إزالة الاحتمال أيضا؛ لأنّ قوله: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾ ليس صريحا في إفادة الإعطاء من الله، وأيضا كلمة ﴿إِنَّا﴾ تحتمل الجمع كما تحتمل الواحد المعظم نفسه، فلمّا التفت بقوله ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ﴾ زال هذان الاحتمالات)»[3].

ومثله قوله تعالى:«﴿حم (1) وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ (2) إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ (3) فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ (4) أَمْرًا مِنْ عِنْدِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ (5) رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [الدخان: 1-6].

---

[1]- عيسى علي العاكوب وآخرون : الكافي في علوم البلاغة العربية معاني-بيان-بديع ، ص:151.
[2]- المرجع نفسه، ص:151.
[3]- الزركشي: البرهان في علوم القرآن ، ج3 ، ص:316.

فقد جرى الأسلوب كما ترى على طريقة التكلم:﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ...إِنَّا كُنَّا...مِنْ عِنْدِنَا...﴾ ثم انتقل إلى طريق الغيبة فقال:﴿رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ﴾، وكان مقتضى ظاهر السياق أن يقول: رحمة منا، ولكن هذا الانتقال هيأ خطاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو المنزل عليه الكتاب، ولو قال: رحمة منّا، لما كان هناك سبيل إلى ذكره –صلى الله عليه وسلم– ثم إنّه لما قال: رحمة، ناسبها ذكر الرب لأنّه يشير إلى معنى التربية والرفق والعناية»[1].

*ومن أمثلة هذا النوع مما تيسر في سورة النحل:

النموذج الأول: قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اُعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾ [النحل:36].

« فقد بعث الله في كل أمة رسولا دعاهم إلى عبادة الله وحده، لا شريك له، ونهاهم عن إتّباع الشيطان (الطاغوت)، وعن عبادة الأوثان وعن الشرك بالله، فمن الناس من آمن بالله، واتبع الرسل فاهتدى، ومنهم من ضلّ واستكبر وعتا عن أمر ربه»[2].

والالتفات في قوله تعالى: ﴿بَعَثْنَا﴾ ، بصيغة التكلم ثم انصرف إلى صيغة الغيبة في قوله تعالى: ﴿اللَّهُ﴾ ، وكذا قوله ﴿مَنْ هَدَى اللَّهُ﴾ ، والغرض الذي يفي به هذا الالتفات هو الدعوة إلى عبادة الله وحده والنهي عن عبادة من سواه.

النموذج الثاني: قوله تعالى:﴿وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ وَلَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَهُ الدِّينُ وَاصِبًا أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَتَّقُونَ﴾ [النحل:51–52].

[1]- مجيد محمد أبو موسى: خصائص التراكيب دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني ، ص:352.
[2]- أسعد محمود حومد: أيسر التفاسير، ج1 ، ص:636.

لقد فسِّر قوله تعالى:«﴿وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ﴾ قيل: المعنى لا تتخذوا اثنين إلهين. وقيل: المعنى لاَ تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ. جاء قوله:﴿اثْنَيْنِ﴾ توكيدا. ولما كان الإله الحق لا يتعدد وأنّ كل من يتعدد فليس بإله، اقتصر على ذكر الاثنين؛ لأنَّه قصد نفي التعديد .﴿إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾ يعني ذاته المقدسة.﴿فَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ﴾ أي خافون»[1]. وقوله تعالى:«﴿وَلَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَهُ الدِّينُ﴾ ، الطاعة والإخلاص ﴿وَاصِبًا﴾ ، دائما ثابتا. معناه: ليس من أحد يُدان له ويطاع إلا انقطع ذلك عنه بزوال أو هلاك، غير الله عز وجل، فإنّ الطاعة تدوم له ولا تنقطع.﴿أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَتَّقُونَ﴾ ،أي: تخافون» [2].

الالتفات في قوله تعالى:﴿فَإِيَّايَ﴾،بصيغة التكلم ثم التفت في قوله تعالى: ﴿وَلَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَهُ الدِّينُ وَاصِبًا أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَتَّقُونَ﴾، بصيغة الغيبة وكان من المنتظر أن يقال: "ولي" مكان قوله تعالى:﴿وله﴾،تمشيا مع الضمير الذي يسبقه .

والغرض البلاغي المتضمن من الالتفات في الآية الأولى هو تخصيص الرهبة والتخويف من الله، والآية الثانية هو الاستفهام الذي جاء على طريق الإنكار.

النموذج الثالث: قال الله تعالى:﴿وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيبًا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ تَاللَّهِ لَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنْتُمْ تَفْتَرُونَ﴾ [النحل:56].

لقد ذكر تفسير هذه الآية في موضع الالتفات من الغيبة إلى الخطاب بأنَّ الله يقسم بنفسه العظيمة على معاقبة الذين يتخذون آلهة لا تنفعهم ولا تضرهم، وأنَّه تعالى ليسألهم عما كانوا يكذبون على الله.

[1]- أبوعبد الله محمد بن أحمد القرطبي: الجامع لأحكام القرآن ، تح هشام سمير البخاري ،ط 1، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، 1422هـ/2002م ، ج10 ، ص:75،76.

[2]- ابن مسعود البغوي : تفسير البغوي معالم التنزيل ، تح محمد عبد الله النمر وآخرون ، دط ، دار طيبة ، الرياض ، 1411هـ ، ج5 ، ص:23،24.

والالتفات المتضمن في ثنايا هذه الآية في قوله تعالى: ﴿مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ﴾ ،بصيغة التكلم ثم انتقل إلى صيغة الغيبة في قوله ﴿تَاللَّهِ﴾ .

والغرض البلاغي المستنبط من وراء هذا الالتفات هو التوبيخ والتقريع فقد اقسم الله سبحانه وتعالى بأن يسأل الكفار عما كانوا يكذبون توبيخا وعقابا لهم.

النموذج الرابع: قال تعالى: ﴿وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ وَاللَّهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾ [النحل:64-65].

وفيها « قال الله تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم، إنَّه إنَّما أنزل عليه الكتاب ليبين للناس الذي يختلفون فيه ، فالقرآن فَاصل بين الناس في كل ما يتنازعون فيه ﴿وَهُدًى﴾ أي للقلوب ﴿وَرَحْمَةً﴾ أي لمن تمسك به ﴿لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ ﴿وَاللَّهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾ وكما جعل سبحانه القرآن حياة للقلوب الميتة بكفرها كذلك يحيي الأرض بعد موتها بما أنزل عليها من السماء من ماء،﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾ أي يفهمون الكلام ومعناه» [1].

ويظهر الالتفات في قوله تعالى: ﴿وَمَا أَنْزَلْنَا﴾ ، بصيغة التكلم ثم التفت إلى صيغة الغيبة في قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ أَنْزَلَ﴾ ،وكان التأويل أن يقال: وأنزلنا تمشيا مع نفس الضمير. وفي هذا الانتقال غرض بلاغي هو تخصيص الله وحده بأنَّه هو القادر على إنزال الماء وفي ذلك تذكير بعظمة الله بتعداد نعمه .

النموذج الخامس: قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَى هَؤُلَاءِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى

[1]- ابن كثير: مختصر تفسير ابن كثير، ج1 ، ص:667،668.

لِلْمُسْلِمِينَ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل:89-90].

ففي قوله تعالى: «﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ﴾ هذه الآية في ضمنها وعيد، والمعنى واذكر يوم نبعث في كل أمة شهيدا عليها، وهو رسولها الذي شاهد في الدنيا تكذيبها وكفرها، وإيمانها وهداها، ويجوز أن يبعث الله شهيدا من الصالحين مع الرسل، وقد قال بعض الصحابة: إذا رأيت أحدا على معصية فأنهه فإن أطاعك وإلَّا كنت شهيدا عليه يوم القيامة، ﴿مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾ بحسب أن بعثة الرسل كذلك، في الدنيا وذلك أن الرسول الذي من نفس الأمة في اللسان والسير وفهم الأغراض والإشارات يتمكن له إفهامهم والرد على معانديه، ولا يتمكن ذلك من غير من هو من الأمة، فلذلك لم يبعث الله قَطْ نبيا إلا من الأمة المبعوث إليهم، وقوله ﴿هَؤُلَاءِ﴾ إشارة إلى هذه الأمة و﴿الْكِتَابَ﴾ القرآن، وقوله ﴿تِبْيَانًا﴾ اسم وليس بالمصدر، وهو كالنقصان ،وقوله ﴿لِكُلِّ شَيْءٍ﴾ أي مما يحتاج في الشرع ولابد منه في الملة كالحلال والحرام والدعاء لله والتخويف من عذابه»[1].

ثم تلى هذه الآية قوله تعالى: « ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ في قوله﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ﴾: التوحيد أو الإنصاف ﴿وَالْإِحْسَانِ﴾:"أن تعبد الله كأنك تراه" كما في الحديث ﴿وَإِيتَاءِ﴾:إعطاء ﴿ذِي الْقُرْبَى﴾ :القرابة، خصّه بالذكر اهتماما به ﴿وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ﴾ الزنى﴿وَالْمُنْكَرِ﴾ شرعا من الكفر والمعاصي ﴿وَالْبَغْيِ﴾: الظلم للناس، خصه بالذكر اهتماما كما بدأ بالفحشاء كذلك ﴿ يَعِظُكُمْ﴾: بالأمر والنهي﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾: تتعظون»[2].

[1]- ابن عطية الأندلسي : المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تح عبد السلام عبد الشافي محمد ، ط1 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1422هـ/2001م، ج3 ، ص:415.

[2]- سعد ابن عبد الرحمان الحصين : مهذب تفسير الجلالين ، ط1 ، دد ، 1423هـ/2002م ، ص:281.

الكلام جار وفق طريق التكلم في قوله تعالى:﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ﴾، وكذا في قوله: ﴿وجئنا﴾، وأيضا ﴿ونزلنا﴾،ثم انتقل إلى صيغة الغيبة في قوله:﴿إنّ الله يأمر﴾،وكان مقتضى ظاهر السياق أن يقال: "إنّا نأمر "فكان الغرض من هذا التحول في الآية الأولى هو تأكيد وعيد الله للقوم الذين عرفوا نعمته ثم أنكروها بأن الأنبياء يشهدون عليهم بذلك الانكار والغرض البلاغي في الآية الموالية هو الأمر والنهي لأنَّه تعالى يأمر بالعدل والإحسان وينهاهم عن الظلم والمعاصي.

النموذج السادس: قوله تعالى: ﴿وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [النحل:101].

«يخبر تعالى عن ضعف عقول المشركين، وقلة ثباتهم وإيقانهم، وأنَّه لا يتصور منهم الإيمان، وقد كتب عليهم الشقاوة، وذلك أنَّهم إذا رأوا تغيير الأحكام ناسخها بمنسوخها قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ﴾ أي كذاب، وإنَّما هو الرب تعالى يفعل ما يشاء، ويحكم ما يريده .قال مجاهد: ﴿بدلنا آية مكان آية﴾ رفعنها وأثبتنا غيرها»[1].

وبعد تفسير هذه الآية يظهر الالتفات في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا بَدَّلْنَا﴾،بصيغة التكلم ثم انتقل إلى صيغة الغيبة في قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ﴾،وكان التأويل أن يقال: ونحن أعلم أو وأنا أعلم وفي التحول تعدد للأغراض البلاغية منها تذكيرهم بأن الله هو الإله الحق العليم بما ينزل وتوبيخ الكفرة والتنبيه على فساد رأيهم.

[1]- ابن كثير: مختصر تفسير ابن كثير، ج1 ، ص:680.

المبحث الثالث: الالتفات بين التكلم والخطاب

فهذا النوع من الالتفات يعتبر نادرا جدا لقلّة تحققه في الكلام والسبب في ذلك يعود إلى التلاؤم بين موقفي الخطاب والتكلم ففي السياق نفسه لا يتخيّل أن يكون الشخص الواحد إلاَّ على نحو من الأنحاء التي أجازت متكلما ومخاطبا في آن واحد.

المطلب الأول: الالتفات من التكلم إلى الخطاب

يعتبر هذا التحول من أروع وأجمل الأساليب الكلامية إلاَّ أنَّه يعدُّ من نوادر أساليب الالتفات .« ووجهه حث السامع وبعثه على الاستماع حيث أقبل المتكلم عليه، وأنه أعطاه فضل عناية وتخصيص بالمواجهة »[1].

كقوله سبحانه « في حكاية مقالة الرجل المؤمن الذي كان يدعو قومه من أهل أنطاكية: ﴿ومالي لا أعبد الذي فطرني وإليه ترجعون﴾،عبر عن المعنى أولا بطريق التكلم:﴿ومالي لا أعبد الذي فطرني﴾،ثم عبّر عنه ثانيا بطريق الخطاب فقال:﴿وإليه ترجعون﴾، حيث خالف مقتضى الظاهر الذي يستدعي القول: "وإليه أرجع"»[2].

المطلب الثاني: الالتفات من الخطاب إلى التكلم

هو كغيره من الالتفاتات يلجأ إليه اللغويين في تغيير أسلوب كلامهم وهدفه إبعاد الملل عن السامع والقارئ ويمكن التمثيل لهذا النوع بـــ:

قوله تعالى:«﴿وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ﴾[هود:90]عبر عن الذات أولا بطريق الخطاب فقال:﴿وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ﴾، ثم عبر عنها ثانيا بطريق التكلم فقال: ﴿إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ﴾

[1]- الزركشي: البرهان في علوم القرآن ، ج3 ، ص:315،316.
[2]- عيسى علي العاكوب وآخرون: الكافي في علوم البلاغة العربية معاني-بيان-بديع ، ص:151.

ومنه في الشعر قول علقمة بن عبده الفحل:

طَحَابِكَ قَلْبٌ فِي الْحَسَانِ طَرُوبُ بُعَيْدَ الْشَبَاب عَصْرَ حَانَ مُشِيبُ

يُكَلِّفُنِي لَيْلَى وَقَدْ شَطَّ وَلِيُّـــهَا وَعَادَتْ عَوَادٍ بَيْنَنَا وَخَطُــوبُ

طَحَابِكَ: ذهب بك وأتلفك. شط وليها: بعد قربها. عبر أول الأمر عن نفسه بطريق الخطاب فقال: (طَحَابِكَ)، ثم التفت إلى التكلم فقال: (يُكَلِّفُنِي) ومقتضى الظاهر أن يقول: (يكلفك). وتتراءى جمالية الالتفات هنا في أن التكليف بليلى مقطع مهم من مقاطع المعنى وجزء أساسي من لُحمته وحقه أن يقع في نفس الشاعر وقوعا واضحا لا مواربة فيه وبهذا يقوى الكلام»[1].

« يرى محمود شيخون أن صور الالتفات "توجد في القرآن الكريم، ما عدا الصورة الثالثة، وهي الانتقال من الخطاب إلى التكلم، فلم أعثر لها على شاهد في القرآن الكريم".

وقد مثّل لها بعضهم بقوله تعالى:﴿فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا إِنَّا آَمَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ [طه:72-73].وهذا المثال لا يصح، لأنَّ شرط الالتفات أن يكون المراد به واحدا.

وقال الزركشي: ويمكن أن يمثل لهذه الصورة بقوله تعالى:﴿قُلِ اللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ﴾ [يونس:21]، على أنّه سبحانه نزّل نفسه منزلة المخاطب»[2].

[1]- عيسى علي العاكوب وآخرون :المرجع السابق ، ص:151.

[2]- أحمد اللباد: فصول دراسات نقدية ،الالتفات ، ع85-86 ، ديسمبر، 2013م ، ص:303.

وما يلاحظ أنَّ هذا النوع من الالتفات الضمائري لا تتوفر منه أمثلة في سورة النحل وهذا ما أشار إليه بعض اللغويين لقِلَّة وروده في القرآن والسبب يرجع إلى ذلك التلائم بين طرفي الخطاب والتكلم لأنَّ شرط الالتفات هنا أن يكون المراد به واحدا.

المبحث الرابع: الالتفات بين المضمر والظاهر

الالتفات في الضمائر له صور متنوعة من بينها وضع المضمر موضع الظاهر والعكس وهذا ما أسموه البلاغيون مخالفة مقتضى الظاهر ويمكن أن نبيّن له بشواهد توضيحية من كل حالة.

المطلب الأول: وضع الضمير موضع الاسم الظاهر

إنَّ وضع الضمير محل الاسم الظاهر يعد من بديع الكلام وجماليته وذلك كما في قوله تعالى:«﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص:01] وقوله سبحانه: ﴿.....فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ [الحج:46].وقوله تعالى:« ﴿قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ...﴾[البقرة:97].

فليس هناك ما يعود عليه ضمير الشأن في الآية الأولى، وضمير القصة في الثانية، والضمير في ﴿نزّله﴾ في الثالثة، ومن ثمة فإنّ ورود كل من الضمائر الثلاثة يعد خروجا على مقتضى الظاهر»[1] .

المطلب الثاني: إظهار ما سبق إظهاره

يعتبر فرعا من فروع الالتفات الضمائري له دور في إضفاء طابع أسلوبي ممتع لأنَّ اللجوء إلى إظهار الضمير الذي سبق إظهاره فيه لفت في الكلام .

[1]- حسن طبل : أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية، ط1، دار الفكر العربي ، القاهرة ، 1998م، ص:103.

كما في قوله تبارك وتعالى:«﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ [البقرة:59]. وقوله سبحانه:﴿وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ...﴾[الإسراء:105]، وقوله:﴿أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [المجادلة:22].فلقد كان مقتضى الظاهر أن يقال في الآية الأولى: فأنزلنا عليهم، وفي الثانية: وبه نزل، وفي الثالثة: ألا إنّهم هم المفلحون.

المطلب الثالث: إظهار المضمر

في هذا النوع يتطلب إظهار الضمير المضمر حتى تتضح صورة الالتفات في صياغة الكلام وذلك مثل قوله عز وجل: ﴿وَإِنْ نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ....﴾ [التوبة:12]، وقوله: ﴿وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ﴾ [ص:04].ففي صدر كل من الآيتين ورد التعبير بالضمير (نَكَثُوا–وَعَجِبُوا) ومن ثمة كان مقتضى الظاهر أن يكرر فيقال في الأولى: فقاتلوهم، وفي الثانية: وقالوا»[1].

المبحث الخامس: الالتفات بين التذكير والتأنيث

تذكير الضمير وتأنيثه يعد من محاسن الكلام يلجأ إليها العرب للتفنن والتنوع في الأساليب، لما تحمله من حركية بين ضمير المذكر والمؤنث، والهدف المقصود من وراء ذلك إضفاء طابع متميز في كلامهم وإثارة سمع المتلقي، وهي الصورة الأخيرة من صور الالتفات في مجال الضمائر وهي لا تبرز شرط أن يكون مرجع الضميرين المذكر والمؤنث واحدا ولا يتحقق كذلك مرجع الضمير إلا إذا كان تأنيثه وتذكيره مجازيا لا حقيقيا.

[1]- حسن طبل : المرجع السابق ، ص:103،104.

المطلب الأول: تذكير المؤنث

يستعمل هذا النوع من الالتفات في تذكير ضمير المؤنث لفظا ولكنه مؤنث معنى مما يعني أنَّه مذكر مجازيا لا حقيقيا.

كما في قوله تعالى:«﴿فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ﴾ [القرة:275]، عن تأويلها بالوعظ.

وقوله:﴿وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا﴾[ق:11]،على تأويل البلدة، بالمكان، وإلاّ لقال: (ميتة).

وقوله:﴿فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي﴾[الأنعام:178]،أي الشخص أو الطالع»[1].

يقول البارودي:

« لَكَ رُوحِي، فَاصْنَعْ بِهَا مَا تَشَاءُ فَهْيَ مِنِّي لِنَاظِرَيـــــكَ فِدَاءٌ

لَا تَكِلْنِي إِلَى الْصُّدُودِ فَحَسْبِـــي لَوْعَةٌ لَا تُقِلّـــُهَا الأَحْشَـــاءُ

أَنَا وَاللهِ مُنْذُ غِبْـــتَ عَلِيـــلٌ لَيْسَ لِي غَيْـــرَ أَنْ أَرَاكَ دَوَاءُ

كَيْفَ أُرْوِي غَلِيلَ قَلْبِي؟ وَلَمْ يَبْـ ـقَ لِعَيْنِي مِنْ بَعْدِ هَجْرِكَ مَـاءُ

فَتَرَفّقَ بِمُهْجَةٍ شَفَّهَا الْوِجْـــــ ـــدُ، وَعَيْنٍ أَخْنَى عَلَيْهَا الْبُكَاءُ[2].

[1]-الزركشي : البرهان في علوم القرآن ،ج3 ، ص:359.

[2]- محمود سامي البارودي : ديوان سامي البارودي ،دط ، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة ،القاهرة ، دت ، ص:40.

استخدام ضمير المذكر للتغزل بالحبيبة والتعريض بحبِّها وهواها وبث الأشواق إليها»[1].

*ومن نماذج هذا النوع من الالتفات ما ذكر في سورة النحل المباركة:

النموذج الأول: قول الله سبحانه وتعالى:﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ﴾ [النحل:66].

فسر ابن كثير قوله تعالى:«﴿وَإِنَّ لَكُمْ﴾ أيها الناس﴿فِي الْأَنْعَامِ﴾ وهي الإبل والبقر والغنم ﴿لَعِبْرَةً﴾ أي لآية ودلالة على حكمة خالقها وقدرته ورحمته ولطفه» [2].

وفسر قوله تعالى:«﴿مِمَّا فِي بُطُونِهِ﴾ اختلف الناس في الضمير في قوله:﴿ممَّا فِي بُطُونِهِ﴾ على ماذا يعود. فقيل: هو عائد إلى ما قبله وهو جمع المؤنث. قال سيبويه: العرب تخبر عن الأنعام بخبر الواحد. قال ابن العربي: وما أراه عوّل عليه إلا من هذه الآية، وهو لا يشبه منصبه ولا يليق بإدراكه. وقيل: لما كان لفظ الجمع وهو اسم الجنس يذكر ويؤنث فيقال: هو الأنعام وهي الأنعام، جاز عود الضمير بالتذكير، وقاله الزجاج. وقال الكسائي: معناه ممّا في بطون ما ذكرناه فهو عائد على المذكور»[3].

ويظهر الالتفات في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ﴾، الذي جاء بطريق المؤنث ثم انتقل في قوله تعالى:﴿مِمّا فِي بُطُونِهِ﴾، الذي جاء بصيغة المذكر والتأويل أن يقال: ممَّا في بطونها، والغرض البلاغي من وراء هذا الالتفات التذكير بنعم الله وبيان كمال عظمته وقدرته ورحمة بعباده فقد أنعم عليهم بنعم لا تعد ولا تحصى.

---

[1]-فتح الله أحمد سليمان: الأسلوبية مدخل نظري ودراسة تطبيقية ،دط ، مكتبة الآداب، القاهرة ،1425هـ/2004م، ص:222.

[2]- ابن كثير: مختصر تفسير ابن كثير ، ج1، ص:669.

[3]- القرطبي: الجامع لأحكام القرآن ، ج10 ، ص:82.

المطلب الثاني: تأنيث المذكر

يظهر هذا النوع من التحول في الكلام عندما يستعمل ضمير المؤنث المجازي الذي يعود في الأصل على المذكر والمعنى هو الذي يدل عليه.

مثل قوله تعالى:«﴿الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا﴾ [المؤمنون:11]؛ فأنث ﴿الْفِرْدَوْسَ﴾، وهو مذكر، حملا على معنى الجنة.

وقوله: ﴿ مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾، [الأنعام:160]؛ فأنَّث ﴿عشر﴾ حيث جردت من الهاء مع إضافته إلى الأمثال، وواحدها مذكر، وفيه أوجه: أحدهما: أُنّث لإضافة الأمثال إلى مؤنث؛ وهو ضمير الحسنات، والمضاف يكتسب أحكام المضاف إليه، فتكون كقوله: ﴿يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ﴾ [يوسف:10].

والثاني هو من باب مراعاة المعنى؛ لأنَّ الأمثال فِي المعنى مؤنثة، لأنَّ مثل الحسنة حسنة لا محالة، فلمَّا أريد توكيد الإحسان إلى المطيع وأنَّه لا يضيع شيء من علمه؛ كأنَّ الحسنة المنتظرة واقعة، جعل التأنيث في أمثالها منبهة على ذلك الوضع، وإشارة إليه.

وقوله تعالى حكاية عن لقمان:﴿يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ﴾ [لقمان:16]. فأنث الفعل المسند لـــ﴿مِثْقَالَ﴾ وهو مذكر، لكن لما أضيف إلى ﴿حَبَّةٍ﴾ اكتسب منه التأنيث، فساغ تأنيث فعله».[1]

*ومن نماذج هذا النوع من الالتفات في سورة النحل المباركة:

[1]-الزركشي : البرهان في علوم القرآن ،ج3،ص: 365،366 .

النموذج الأول: ومنه قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اُعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ﴾ [النحل:36].

سبق تفسير هذه الآية في المطلب الثاني من التكلم إلى الغيبة ومفاده أنّ الله سبحانه بعث في كل طائفة وقرية رسولا يدعوهم لعبادته تعالى واجتناب عبادة غيره من الأوثان فكان منهم من هدى الله ومنهم من اتبع طريق الغي.

أما بالنسبة للالتفات في هذه الآية في قوله تعالى:﴿فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ﴾، جاء بصيغة جمع المذكر ثم انتقل في قوله تعالى:﴿وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ﴾،الذي جاء بصيغة المؤنث لفظا ولكنه جمع مذكر معنى. والغرض البلاغي المُسْتَنبط منْ هذا الالتفات هوَ النهي عنْ عبادة غير الله تعالى والدعوة إلى عبادته وحده لا شريك له.

وفي ختامِ هذا الفصل يتبيَّن أنَّ للالتفات صُور عديدة ومتنوعة تتعدد بتعدد الضمائر فقد ظهرت ملامحه في سورة النحل التي هي من بين السور التي إشتملت على مجموعة معتبرة من المواطن الالتفاتية الخاصة بهذا المجال ومن بينها الالتفات بين الغيبة والخطاب وبين الغيبة والتكلم وبين التذكير والتأنيث إلاَّ أنَّه لم يظهرُ بكلِّ صورهِ في هذه السورة المباركة، الذي غابَ فيها الانتقال بين التكلم والخطاب وكذابين المضمر والظاهر.

الفصل الثاني: بلاغة الالتفات بالصيغ في سورة النحل

المبحث الأول: الالتفات بين الماضي والمضارع

المبحث الثاني: الالتفات من المضارع والماضي إلى الأمر

المبحث الثالث: الالتفات بين الفعل والاسم

تمهيد:

يتمثل في ذلك التنقل بين الأزمنة (ماضي، مضارع، أمر) حتى يبدو الأسلوب أكثر متعة وحركية وإثارة في جلب السامع إليه ، والهدف منه الابتعاد عن التكرار حتى لا يظهر الحدث مملا لدى السامع، فهذا التحول بطبيعة الحال له أغراض بلاغية تتنوع بتنوع الصيغ في النسق الواحد.

المبحث الأول: الالتفات بين الماضي والمضارع

يظهر هذا النوع في التحول من الماضي إلى المضارع ومن المضارع إلى الماضي، فالأول يتمثل في الإخبار عن الفعل الماضي بالمضارع والمراد من ذلك أنَّ الفعل المضارع إذا جاء في حالة الإخبار عن وجود الفعل كان أبلغ من الإخبار بالفعل الماضي والسبب في ذلك هو أنَّ الفعل المضارع يبين الحال التي يظهر فيها، فيجيء بذلك الحدث وكأنَّ المتلقي يراه، لكن هذا لا يعني أنَّ كل فعل مضارع يعطف على ماض يجري هذا المجرى ذلك إذا عطف المضارع على الماضي كان بلاغيا والقصد منه الإخبار عن الفعل الماضي بالمضارع أمَّا إذا كان العكس يعني الإخبار عن الفعل الماضي بالمضارع فهذا يعد ليس بلاغي بل يدل على فعل مستمر الوجود ولم يمض بعد.

المطلب الأول: الالتفات من الماضي إلى المضارع

الغرض من وراء التحول من زمن ماض إلى زمن مضارع هو تغييرا للحدث له دور في بيان جمالية الكلام و بلاغته ومنه قوله تعالى: «﴿ وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ النُّشُورُ﴾[فاطر:09]. [1]

[1]- عبد العزيز عتيق: علم البديع ، دط ، دار النهضة ، العربية، لبنان ، دت ، ص:152 .

فإنّما قال﴿ فَتُثِيرُ﴾ مستقبلا وما قبله وما بعده ماض، وذلك حكاية للحال التي يقع فيها إثارة الريح السحاب، واستحضارا لتلك الصورة البديعية الدالة على القدرة الباهرة.[1]

وهكذا يفعل بكل فعل فيه نوع تميز وخصوصية، كحال تستغرب أوتهم المخاطب أو غير ذلك. ومن هذا الضرب أيضا قوله تعالى:﴿وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ [الحج:31]. فقال أولا﴿خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ﴾ بلفظ الماضي، ثم عطف عليه المستقبل وهو ﴿فَتَخْطَفُهُ- تَهْوِي﴾،وإنّما عدل في ذلك إلى المستقبل لاستحضار صورة خطف الطير إياه وهوي الريح به في مكان سحيق»[2].

وكذلك قوله تعالى: «﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [الحج:25].

والحكمة في هذه أن الكفر لمَّا كان من شأنه إذا حصل أن يستمر حكمه عبَّر عنه بالماضي، ليفيد ذلك مع كونه نافيا أنَّه قد مضى عليه زمان؛ ولا كذلك الصد عن سبيل الله، فإنَّ حكمه إنَّما ثبت حال حصوله مع أن في الفعل المستقبل إشعارا بالتكثير، فيشعر قوله:﴿وَيَصُدُّونَ﴾ أنَّه في كل وقت بصدد ذلك، ولو قال: (وصدوا) لأشعر بانقطاع صدهم»[3].

*ومن نماذج هذا النوع من الالتفات ما جاء في سورة النحل:

النموذج الأول: قوله تعالى: ﴿أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [النحل:01].

[1]- عبد العزيز عتيق: المرجع السابق، ص:152 .
[2]- المرجع نفسه، ص:152،153.
[3]- الزركشي: البرهان في علوم القرآن، ج3، ص:336،337.

لقد سبق تفسير هذه الآية في موضع الالتفات من الخطاب إلى الغيبة الذي كان محتواه أن الله يخبر عن اقتراب وقت قيام الساعة وقد عبّر عن ذلك بصيغة الماضي ليدل على التحقق والوقوع الذي لا محال منه فقوله:﴿لَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾ والمقصود أنّه سيأتي قضاء الله في المستقبل فمتى جرى الحساب كان مصير كل كافر نار جهنم.

والالتفات هنا في قوله تعالى: ﴿أَتَى أَمْرُ اللَّهِ﴾،بصيغة الماضي ثم انتقل في قوله تعالى: ﴿فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾،بصيغة المضارع فجاء الماضي للدلالة على المستقبل المحقق الوقوع . والغرض من وراء هذا النوع من الالتفات هو الوعيد الذي جاء في صورة الإخبار عن إتيان قيام الساعة ونهي الكفار عن استعجالهم العذاب استهزاءًا بوعيد رسول الله.

النموذج الثاني: قال الله تعالى: ﴿فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ [النحل:34].

جاء في التفسير الوسيط قوله تعالى:«﴿فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا﴾ والمعنى أن الله جلّ شأنه أنزل بالأمم السابقة أجزية أعمالهم السيئة التي اقترفوها وتمسكوا بها، وتسمية الأجزية للمشاكلة كما في قوله:﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا﴾ [الشورى:40].

أو لأنها مسببة عن أعمالهم السيئة، فسميت باسم سببها إيذانا بفضاعته، وإشارة إلى بالغ قبحه، ويجوز أن يكون المعنى: فأصابهم جزاء سيئات ما عملوا.

﴿وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾: أي وأحاط بهم العذاب الذي كانوا يستهزئون به ويسخرون منه كلما توعدتهم به رسلهم إن استمروا على كفرهم، وعبّر بالحيق الذي خصّه الاستعمال اللغوي بإحاطة الشر، للإيذان بأن العذاب لم يقتصر على مجرد[1]

[1]- محمد سيد طنطاوي: التفسير الوسيط، ج5، ص:613.

إصابتهم، بل شملهم وعمهم، أو المعنى وأحاط بهم جزاء استهزائهم برسولهم أو به وبغيره» [1].

والالتفات الحاصل هنا بين صيغتي الماضي والمضارع فيظهر الماضي في قوله تعالى: ﴿أَصَابَهُمْ﴾،ثم انتقل في الكلام إلى صيغة المضارع في قوله تعالى: ﴿يَسْتَهْزِئُونَ﴾.وهذا الانتقال يفي إلى غرض بلاغي هو تحذير الكفرة المعاندين وانذارهم فكان جزاءهم العذاب الذي يستهزئون به.

النموذج الثالث: قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [النحل:42].

جاء في تفسير قوله تعالى: «﴿الَّذِينَ صَبَرُوا﴾ على أوامر الله وعن نواهيه وعلى أقدار الله المؤلمة، وعلى الأذية فيه والمحن ﴿وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾أي: يعتمدون عليه في تنفيذ محابه، لا على أنفسهم »[2].

فالكلام جار وفق صيغة الماضي في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ صَبَرُوا﴾،ثم التفت إلى صيغة المضارع في قوله تعالى: ﴿يَتَوَكَّلُونَ﴾.

والغرض البلاغي المتضمن من وراء هذا الالتفات في هذه الآية الكريمة هو مدح الذين صبروا على ما أذاهم وتوكلهم على الله في تيسير شؤونهم.

النموذج الرابع: الذي جاء فيه الالتفات من الماضي إلى المضارع في قول الحق تبارك وتعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل:43].

[1]- محمد سيد طنطاوي: المصدر السابق، ج5، ص:613.
[2]- عبد الرحمان بن ناصر السعدي: تيسير الكريم الرحمان في تفسير كلام المنان، ص:441.

« نزل النص الكريم للرد على مشركي مكة حيث أنكروا نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وقالوا: الله أعظم من أن يكون رسوله بشر فهلاّ بعث إلينا ملكا فقال سبحانه إبطالا لقولهم: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ﴾: أي جرت السنة الإلهية حسبما اقتضته الحكمة بألاَّ يبعث الله للدعوة إلى دينه، إلاّ رجالا يُوحي إليهم بوساطة الملك الذي يحمل إليهم أوامر الناهي ونواهيه لتبليغها إلى أممهم، وتلك الأمم حسب طبيعتها الآدمية لا تستطيع معاينة الملك على صورته الأصلية»[1].

وأما الالتفات فجاء في قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا﴾،بصيغة الماضي ثم انصرف إلى صيغة المضارع في قوله تعالى: ﴿نُوحِي﴾.والغرض الذي يفي به هذا النوع من الالتفات هو تأكيد الله للمشركين بأنَّه أرسل من المرسلين قبل النبي محمد صلى الله عليه وسلم وأنَّهم كانوا من البشر.

النموذج الخامس: قال تعالى: ﴿وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ﴾[النحل:68].

فسر أبو السعود قوله تعالى: « ﴿وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ﴾أي ألهمها وقذف في قلوبها وعلَّمها بوجه لا يعلمه إلاَّ العليم الخبير وقرئ بفتحتين ﴿أَنِ اتَّخِذِي﴾أي بأن اتخذي على أنَّ أنْ مصدرية ويجوز أنْ تكون مفسرة لما في الإيحاء من معنى القول وتأنيث الضمير مع أن النحل مذكر للحمل على المعنى أو لأنّه جمع نحلة والتأنيث لغة أهل الحجاز ﴿مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا﴾أي أوكارًا مع ما فيها من الخلايا ﴿وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ﴾أي يعرشه الناس أي يرفعه من كرم أو سقف وقيل المراد به ما يرفعه الناس ويبنونه للنحل »[2].

[1]- محمد سيد طنطاوي: التفسير الوسيط، ج5، ص:622،623.
[2]- أبو السعود: تفسير أبي السعود، ج5، ص:125.

والالتفات ظاهر في قوله تعالى: ﴿وَأَوْحَى﴾، الذي جاء بصيغة الماضي ثم انتقل إلى صيغة المضارع في قوله تعالى :﴿وَمِمَّا يَعْرِشُونَ﴾.والغرض البلاغي الذي يفي به هذا الالتفات التنبيه على تعظيم حكمة الله في خلقه، فقد نبّه عز وجل في أخذ العبرة من خلقه وهذا دليل على عظمته وحكمته.

النموذج السادس: قوله تبارك وتعالى:﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّاكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ﴾[النحل:70].

« يخبر الله تعالى أن الذي خلق العباد ونقلهم في الخلقة، طورا بعد طورا، ثم بعد أن يستكملوا آجالهم، يتوفاهم، ومنهم من يعمره حتى ﴿يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ﴾أي: أخسه الذي يبلغ به الإنسان إلى ضعف القوى الظاهرة والباطنة، حتى العقل الذي هو جوهر الإنسان، يزيد ضعفه حتى إنَّه ينسى ما كان يعلمه، ويصير عقله كعقل الصبي، ولهذا قال:﴿ لِكَيْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا﴾،﴿ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ﴾ أي:قد أحاط علمه وقدرته بجميع أشياء، ومن ذلك لا ينقل به الآدمي من أطوار الخلقة ،خلقاً بعد خلقٍ »[1].

فالحديث جار وفق صيغة الماضي في قوله تعالى :﴿خَلَقَكُمْ﴾،ثم انتقل إلى صيغة المضارع في قوله: ﴿يَتَوَفَّاكُمْ﴾.والغرض منه تنبيه الله لعباده بأنَّه حينما تحين آجالهم يتوفاهم مهما طالت أعمارهم وأنه تعالى قدير عليم.

النموذج السابع: قوله تعالى: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَمَنْ رَزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنْفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا هَلْ يَسْتَوُونَ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [النحل:75].

[1]- عبد الرحمان بن ناصر السعدي: تيسير الكريم الرحمان في تفسير كلام المنان، ص:444.

ذكر تفسير هذه الآية في موضع الالتفات من الغيبة إلى التكلم ومضمون ما فسر بأنّ الله قدم مثلا بين فيه الفرق بين عبدٌ مملوكٌ عاجزٌ عن التصرف وعبدٌ آخرٌ حرٌ له مال حلال رزقه الله به وفي ذلك تبيان بأنّهما لا يستويان فكذلك لا يمكن التسوية بين الله مع خلقه ومع الأصنام بل له الحمد وحده المستحق للعبادة.

أما فيما يخص الالتفات فإنَّه حاصل هنا في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ رَزَقْنَاهُ﴾، بصيغة الماضي ثم التفت إلى صيغة المضارع في قوله تعالى: ﴿فَهُوَ يُنْفِقُ﴾.

والغرض البلاغي من هذا الالتفات هو الاستفهام الانكاري للتنبيه على عدم التسوية بين عباد الله والله بل الله له كل الحمد والثناء وحدة لا شريك له.

النموذج الثامن: قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِمَّا خَلَقَ ظِلَالًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ وَسَرَابِيلَ تَقِيكُمْ بَأْسَكُمْ كَذَلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ﴾ [النحل:81].

سبق وأن قُدم تفسيرها في موضع الالتفات من الخطاب إلى الغيبة وفيها يبين الله نعمه التي أنعم بها على عباده حيث جعل من الأشجار مما يستظل ومن الجبال والكهوف أماكن يلجأ إليها وجعل من الصوف وغيره مما يقي من الحر والبرد ومن الحديد مما يحمي في الحروب وفي ذلك بيان للاستسلام لعبادته وحده.

والالتفات في قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ﴾ ،التي ذكرت ثلاث مرات بصيغة الماضي، ثم انصرف الكلام في قوله تعالى: ﴿يُتِمُّ﴾، إلى صيغة المضارع.والغرض البلاغي المستنبط من هذا الالتفات في هذه الآية هو التذكير بتعداد نعم الله وضرورة الاستسلام له وعبادته وحده.

النموذج التاسع: قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَلَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [النحل:93].

فُسر الآلوسي قوله تعالى:«﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ﴾ أيّها الناس﴿أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ متفقة على الإسلام ﴿وَلَكِنْ﴾ لا يشاء ذلك رعاية للحكمة بل ﴿يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ﴾ إضلاله[1]

بأن يخلق فيه الضلال حسبما يصرف اختياره التابع لاستعداده له ﴿وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ هدايته حسبما يصرف اختياره التابع لاستعداده لتحصيلها﴿وَلَتُسْأَلُنَّ﴾ جميعا يوم القيامة سؤال محاسبة ومجازاة لا سؤال استفسار وتفهم ﴿عَمَّا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ تستمرون على عمله في الدنيا بقدركم المؤثرة بإذن الله تعالى»[2].

والالتفات الحاصل هنا بين صيغتي الماضي والمضارع يظهر الماضي في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ﴾، ثم انتقل إلى صيغة المضارع في قوله تعالى: ﴿وَلَكِنْ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾.وفيما يخص الغرض المستنتج من هذا الالتفات في هذه الآية هو تأكيد الله لعباده بأنَّه هو الذي يبتليهم بالأوامر والنواهي ثم توعد في آخر الآية بسؤال وهو سؤال توبيخ.

المطلب الثاني: الالتفات من المضارع إلى الماضي

الانصراف من زمن مضارع إلى زمن ماضي فيه حركية هدفها ترك الأثر على السامع وله دور فعال في تحسين أسلوب الكلام وجماله ومن أمثلته:

[1]-شهاب الدين الألوسي : روح المعاني ، ج14، ص:222.
[2]- المصدر نفسه، ص:222،223.

قوله تعالى:«﴿وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ﴾ [النمل:87]، فإنّه إنّما قال ﴿فَفَزِعَ﴾ بلفظ الماضي بعد قوله:﴿يُنْفَخُ﴾ وهو مستقبل للإشعار بتحقيق الفزع وأنه كائن لا محالة لأن الفعل يدل على وجود الفعل وكونه مقطوع به»[1].

ومن هذا الجنس قوله تعالى:«﴿وَبَرَزُوا لِلَّهِ جَمِيعًا﴾[إبراهيم:21]،﴿بَرَزُوا﴾ بمعنى يبرزون يوم القيامة، وإنّما جيء بلفظ الماضي، لأنَّ ما أخبر الله به لصدقه وصحته كأنه قد كان ووجد»[2].

ومن ذلك ما يمثل في قوله سبحانه:« ﴿إِنْ يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُمْ بِالسُّوءِ وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ﴾[الممتحنة:02] ففي هذه الآية الكريمة عدول عن صيغة المضارع الواقعة جوابًا للشرط ﴿يَكُونُوا- يَبْسُطُوا﴾إلى صيغة الماضي المعطوفة عليها ﴿وَوَدُّوا﴾ – يقول الزمخشري في بيانه لنكتة هذا العدول:

(...الماضي وإن كان يجري في جواب الشرط مجرى المضارع في علم الإعراب فإنّ فيه نكتة كأنَّه قيل: وودوا قبل كل شيء كفركم وارتدادكم يعني أنهم يريدون أن يلحقوا بكم مضار الدنيا والدين جميعا من قتل الأنفس، وتمزيق الأعراض وردكم كفارا أسبق المضارع عنده لعلمهم أنّ الدين أعز عليكم من أرواحكم، لأنّكم بذالون لها دونه، والعدو أهم شيء عنده أن يقصد أعز شيء عند صاحبه)»[3].

*ومن أمثلة هذا النوع من الالتفات ممَّا تيسر منه في سورة النحل المباركة:

النموذج الأول: قوله تعالى:﴿الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ فَأَلْقَوُا السَّلَمَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ بَلَى إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[النحل:28].

---

[1]- أحمد مطلوب: أساليب بلاغية الفصاحة-البلاغة-المعاني، ص:284،285.

[2]- ضياء الدين ابن الأثير: الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والمنثور، دط ، مطبعة المجمع العلمي ، 1375هـ/2011م، ص:104.

[3]- حسن طبل: أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية، ص:80.

لقد سبق تفسير هذه الآية الكريمة في موضع الالتفات من الغيبة إلى الخطاب وجاء في تفسيرها بأنَّه لا سبيل للظالمين في نكران أعمالهم بالكذب بل الله عليم لا يخفى عنه شيء فلا ينفع ندمهم واستلامهم حين يرون الملائكة تقبض أرواحهم وهم ظالمون لأنفسهم.

فوقع الالتفات فيها من صيغة المضارع في قوله تعالى:﴿الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ﴾،إلى صيغة الماضي في قوله تعالى:﴿فَأَلْقَوُا السَّلَمَ مَا كُنَّا﴾، فكان الغرض من وراء هذا الالتفات هو التهديد والوعيد بحلول العذاب على الذين ينكرون ذنوبهم، فقد وعد الله عباده أن يحل عليهم العذاب جزاءا لأعمالهم فلا ينفع استسلامهم وندمهم.

النموذج الثاني: منه قوله تعالى:﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ مَا تَرَكَ عَلَيْهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾[النحل:61].

«﴿ وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُالنَّاسَ بِظُلْمِهِمْ﴾ أي بكفرهم وافترائهم، وعاجلهم، ﴿مَا تَرَكَ عَلَيْهَا﴾أي على الأرض فهو كناية عن غير مذكور، لكن دل عليه قوله: ﴿مِنْ دَابَّةٍ﴾ فإنَّ الدابة لا تدب إلا على الأرض، والمعنى المراد من دابة كافرة، فهو خاص وقيل: المعنى بأنَّه لو أهلك الأباء بكفرهم لم تكن الأبناء وقيل: المراد بالآية العموم، أي لو آخذ الله الخلق بما كسبوا ما ترك على ظهر هذه الأرض من دابة من نبي ولا غيره»[1].

ويظهر الالتفات في قوله تعالى:﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ﴾،بصيغة المضارع ثم انتقل إلى صيغة الماضي في قوله تعالى: ﴿مَا تَرَكَ﴾.

والغرض منه هو توبيخ الناس بسبب كفرهم وافترائهم بأنهم سيلاقوا عذاب الله الشديد.

[1]- القرطبي: الجامع لإحكام القرآن، ج10، ص:79،80.

النموذج الثالث: قوله تبارك وتعالى: ﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَى هَؤُلَاءِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل:89].

« يقول تعالى مخاطبا عبده ورسوله محمد صلى اله عليه وسلم ﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَى هَؤُلَاءِ﴾ يعني أمتك، أي اذكر ذلك اليوم وهو له، وما منحك الله فيه من الشرف العظيم، والمقام الرفيع. وقوله: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ﴾ قال ابن مسعود رضي الله عنه: قد بيّن لنا في هذا القرآن كل علم نافع من خبر ما سبق، وعلم ما سيأتي، وكل حلال وحرام، وما الناس إليه محتاجون في أمر دينهم ودنياهم ومعاشهم ومعادهم ﴿وَهُدًى﴾ أي للقلوب ﴿وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾ »[1].

والالتفات الحاصل في هذه الآية من صيغة المضارع في قوله تبارك تعالى: ﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ﴾، إلى صيغة الماضي في قوله تعالى: ﴿وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَى هَؤُلَاءِ وَنَزَّلْنَا﴾، فكان الغرض من وراء هذا النوع من الالتفات هو تأكيد تهديد الله للكافرين الذين يصدون عن سبيله ولا يطيعونه ولا يأخذون بأوامره ونواهيه.

النموذج الرابع: قوله تعالى: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ [النحل:112].

جاء في التفسير «﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً﴾ أي وجعلها مثلا لكل قوم أنعم الله عليهم فأبطرتهم النعمة فكفروا فأنزل الله بهم النقمة أو لمكة.

[1]- ابن كثير: مختصر تفسير ابن كثير، ج1، ص:676.

﴿كَانَتْ آَمِنَةً مُطْمَئِنَّةً﴾ لا يزعج أهلها خوف ﴿يَأْتِيهَا رِزْقُهَا﴾ أقواتها ﴿رَغَدًا﴾ واسعا ﴿مِنْ كُلِّ مَكَانٍ﴾ من نواحيها ﴿فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ﴾ بنعمه جمع نعمة على ترك الاعتداد كدرع وأدرع أو جمع نعم كبؤس وأبوس. ﴿فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ﴾ استعار الذوق لإدراك أثر الضر واللباس لما غشيهم واشتمل عليهم من الجوع والخوف،﴿بِمَا كَانُوا يَصْنَعُون﴾ بصنيعهم»[1].

فالالتفات الحاصل هنا بين صيغتي المضارع والماضي فجاء المضارع في قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا﴾،ثم انتقل إلى صيغة الماضي في قوله تعالى: ﴿فَكَفَرَتْ﴾.

وغرض هذا الالتفات تهديد الله تعالى للكفار بالوعيد الشديد في الآخرة وكان في تهديد سبحانه وتعالى بأن يجعلهم يذوقون آفة الجوع والخوف في الدنيا قبل الآخرة.

المبحث الثاني: الالتفات من المضارع والماضي إلى الأمر

يستعمله اللغوي في صرف كلامه وتحوله بين أزمنة مختلفة وفي هذا التنقل إثارة وتشويقا للحدث وهو من عادة العرب يلجأ إليه لجلب السامع.

المطلب الأول: الالتفات من المضارع إلى الأمر

وفيه ينتقل الكلام من زمن مضارع إلى زمن الأمر وفي هذا تعظيما لمن وقع عليه فعل المضارع وتقليل شأن من وقع عليه فعل الأمر وفي هذا دلالة ومعنى جديد للحدث.

وذلك كقوله تعالى:«﴿قَالُوا يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آَلِهَتِنَا عَنْ قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ إِنْ نَقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آَلِهَتِنَا بِسُوءٍ قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ﴾[هود:53-54].

[1]- مصطفى القجوي الحنفي: حاشية محي الدين شيخ زاده ، ج5 ، ص:332-334.

فالسياق الذي يقتضيه ظاهر الحال أن يقول: "أشهد الله وأشهدكم" لكن الآية عدلت عنه في قول هود عليه السلام ليظهر أن إشهاده رب العزة على البراءة من الشرك يختلف عن إشهادهم، فبينما إشهاد الله صحيح فإن إشهادهم لا يعدو أن يكون نوعا من السخرية والتهكم.

المطلب الثاني: الالتفات من الماضي إلى الأمر

إنّ استعمال التحول من فعل الماضي إلى فعل الأمر إنَّما جيء به لتغيير نمط الكلام وإبعاد الملل عن السامع.

وذلك نحو قوله تعالى: ﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾[الأعراف:29].

وليست الخصوصية هنا كالخصوصية في الرجوع من المستقبل إلى الأمر، بل الأمر يختلف، لأنّها هنا تكون لتحقيق الأمر وتوكيده في النفس، فإنّ الصلاة من أوكد الفرائض التي فرضها الله على عباده، فأمر بها سبحانه بعد قوله:﴿أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ﴾ثم اتبعها بإخلاص من النية وهي من عمل القلب»[1].

المبحث الثالث: الالتفات بين الفعل والاسم

لكل من صيغتي الفعل والاسم سمات يتسمان بها في توصيل المعنى المراد، وعلى هذا الأساس أشار البلاغيون إلى هذه السمة فقالوا: «(أن موضوع الاسم على أن يثبت به المعنى للشيء من غير أن يقتضي تجدده شيئا بعد شيئا. وأمّا الفعل فموضوعه على أنّه يقتضي تجدد المعنى المثبت به شيئا بعد شيء)»[2].

---

[1]- توفيق الفيل: بلاغة التراكيب دراسة في علم المعاني ، دط ، مكتبة الآداب ، القاهرة ، دت ، ص:294،295.

[2]- عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز في علم المعاني ، تع محمود محمد شاكر، ط1، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1409هـ/1988م، ص:133.

المطلب الأول: الالتفات من الفعل إلى الاسم

يستعمل في صرف الكلام من صيغة الفعل إلى صيغة الاسم وهذا الانصراف من أهم أنواع الالتفاتات التي تظهر في الكلام ومن أمثلته قول الحق تبارك وتعالى في وصف المتقين:«﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران: 134].

ففي التعبير عن صفة الإنفاق بصيغة المضارع، ثم العدول عنها إلى صيغة اسم الفاعل في التعبير عن كظم الغيظ والعفو عن الناس.

وكذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء:142].

حيث جاء التحول عن صيغة المضارع ﴿يُخَادِعُونَ﴾ إلى صيغة اسم الفاعل (خَادِعُهُمْ).

ومن أمثلته أيضا قوله عز وجل: ﴿إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَهُ أَوَّابٌ﴾[ص:18–19].

ففي سياق هاتين الآيتين تحول عن تأدية وظيفة الحال في الآية الأولى بصيغة المضارع ﴿يُسَبِّحْنَ﴾ إلى تأديتها في الآية الثانية بصيغة الاسم ﴿مَحْشُورَةً﴾ »[1].

[1]- حسن طبل: أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية ، ص:86،87.

*ومن نماذج الالتفات من الفعل إلى الاسم في سورة النحل:

النموذج الأول: قول تعالى:﴿وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل:08].

«خلق الله الخيل والبغال والحمير للركوب والزينة، والله قادر على أن يخلق مخلوقات ووسائل أخرى لا يعلمها الناس، تفيد في الزينة والركوب (كالقطر والسفن والطائرات...)»[1].

فجاء التحول في صيغة الفعل ﴿لِتَرْكَبُوهَا﴾،إلى صيغة الاسم ﴿زِينَةً﴾،لأنّه عطف على محل ﴿لِتَرْكَبُوهَا﴾ باعتباره فعلا لفاعل الفعل المعلل دون الأول وآخر لأن الركوب أولى من الزينة والغرض من وراء هذا الالتفات في هذه الآية هو التذكير بنعم الله التي سخرها على عباده للانتفاع بها في الركوب والزينة.

النموذج الثاني: قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [النحل:125].

فسر أبو السعود قوله تعالى: «﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ﴾ الذي أمرك بدعوة الخلق إليه وأعرض عن قبول الحق بعدما عاين ما عاين من الحكم والمواعظ والعبر﴿وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ إليه بذلك وهو تعليل لما ذكر من الأمرين والمعنى والله تعالى أعلم أسلك في الدعوة والمناضرة الطريق المذكورة فإنّه تعالى هو أعلم بحال من لا يرعوي عن الضلال بموجب استعداده المكتسب وبحال من يصير أمره إلى الاهتداء لما فيه من خبر جبلي فما شرعه لك في الدعوة هو الذي تقتضيه الحكمة فإنّه كاف في هداية المهتدين وإزالة عذر الضالين أو ما عليك من الدعوة والمجادلة بالأحسن وأما حصول

[1]- أسعد محمود حومد: أيسر التفاسير، ج1، ص:629.

الهداية أو الضلال والمجزات عليهما فإلى الله سبحانه إذ هو أعلم بمن يبقى عن الضلال وبمن يهتدي إليه فيجازي كل منهما بما يستحقه وتقديم الضالين لما أنَّ مساق الكلام لهم وإراد الضلال بصيغة الفعل الدال على الحدوث لما أنَّه تغيير لفطرة الله التي فطر الناس عليها وإعراض على الدعوة وذلك أمر عارض بخلاف الإهتداء الذي هو عبارة عن الثبات وتكرير هو أعلم للتأكيد والإشعار بتباين حال المعلومين ومآلهما من العقاب والثواب » [1].

وجاء التحول من صيغة الفعل إلى الاسم في قوله تعالى: ﴿ضَلَّ﴾، إلى صيغة الاسم في قوله تعالى: ﴿بِالْمُهْتَدِينَ﴾، وبما أنّ سياق الكلام هو إراد الضلال بصيغة الفعل الذي يدل على الحدوث وهو تغيير لفطرة الله التي فطرها على الناس إلى صيغة الاسم المنبئ على الثبات في (الاهتداء)

والغرض البلاغي من وراء هذا التحول هو تأكيد علم الله لحال الضالين والمهتدين ومآلهما من العقاب والثواب لأن الهداية والضلال والمجازاة عليهما تعود إلى الله الواحد الأحد لا إلى غيره .

المطلب الثاني: الالتفات من الاسم إلى الفعل

يتمثل في تغيير أسلوب الكلام من صيغة الاسم إلى صيغة الفعل وفي ذلك تنويع وتفنن في المعاني ويظهر هذا النوع في قوله تعالى:«﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِمَنْ خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ ذَلِكَ يَوْمٌ مَجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَشْهُودٌ﴾ [هود:103].فإنه إنما آثر اسم المفعول ها هنا على الفعل المضارع؛ لما فيه من الدلالة على ثبات معنى الجمع [لليوم] وأنّه لابد من أن يكون ميعادا مضروبا لجمع الناس وأنه الموصوف بهذه الصفة.

[1]- أبو السعود: تفسير أبي السعود، ج5، ص:126.

ونفس الشيء ينطبق في قوله تعالى:﴿يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ذَلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ﴾ [التغابن:09]»[1].

ومما سبق تقديمه تبين أنّ الانتقال بين الأزمنة لها دور فعال في إبراز المواطن الالتفاتية حيث ظهر في مواضع قرآنية في سورة النحل منها: من الماضي إلى المضارع ومن المضارع إلى الماضي وكذا من الفعل إلى الاسم، التي أثارت حركية في طبيعة الحدث من خلال التغيير والانصراف من زمن إلى آخر .والملاحظ في هذا الفصل غياب أنماط أخرى من الالتفات الخاصة بالصيغ كالانتقال من الماضي إلى الأمر ومن المضارع إلى الأمر وكذا من الاسم إلى الفعل.

[1]- ابن النقيب: مقدمة تفسير ابن النقيب، ص:212.

الفصل الثالث: بلاغة الالتفات بالعدد في سورة النحل

المبحث الأول: الالتفات بين الإفراد والجمع

المبحث الثاني: الالتفات بين التثنية والإفراد

المبحث الثالث: الالتفات بين التثنية والجمع

تمهيد:

الالتفات بالعدد كغيره من الالتفاتات لهُ أثر في إضفاء طابع أسلوبي ممتع غير أنَّ المغزى في دراسة الالتفات لا تكمن في معرفة أنواعه، بل المراد به البحث عن ذلك الأثر الذي يتركه في نفس المتلقي. وهذا ما حققه الالتفات بالعدد بين (الإفراد والجمع والتثنية) فالفروق بين الأعداد في نفس الجملة لها أثر في تنويع المعنى.

المبحث الأول: الالتفات بين الإفراد والجمع

في هذا النوع نلمس ذلك العدول بين صيغتي الإفراد والجمع، فمثلا الالتفات في البداية يكون في طريق الإفراد ثم يغير اتجاهه إلى طريق الجمع أو العكس، والتغير في الاتجاه بين هذين الصيغتين له غرض ودلالة بلاغية تكمن في ثنايا هذا الالتفات.

المطلب الأول: الالتفات من الإفراد إلى الجمع

يُعتمد على هذا النوع في صرف الكلام من المفرد إلى الجمع قصد تغيير الأسلوب دون أن يُحدِث خللا في التركيب والمعنى وفي ذلك «حكاية عن حبيب النجار﴿وَمَا لِيَ لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [يس:22].هذا عدول عن خطاب الواحد إلى خطاب الجماعة. وإنَّما صرف الكلام عن خطاب نفسه إلى خطابهم لأنَّه أفرد الكلام لهم في معرض المناصحة لنفسه وهو يريد مناصحتهم لتلطفه بهم ومداراتهم فإنّ ذلك أدخل في إمحاض النصح حيث لا يريد لهم إلا ما يريد لنفسه. وقد وضع قوله: ﴿ومَا لِيَ لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي﴾ موضع قوله: (وما لكم لا تعبدون الذي فطركم) ألا ترى إلى قوله: ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ ولولا أنّه قصد ذلك لقال: الذي فطرني وإليه أرجع»[1].

[1]- ابن النقيب : مقدمة تفسير ابن النقيب ، ص: 209.

ومن أمثلة هذا النوع كذلك قوله تعالى: «﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ﴾ [الطلاق:01] »[1].

ومن أمثلة هذا النوع من الالتفات ما ورد في الشعر:

« لا كُتْبُهُ تَتْرَى وَلَا رُسْلُــهُ تَأْتِي وَلَا الْطَّيْفُ يُوَافِي لِمَامْ

اللَّهُ فِي عَيْنٍ جَفَاهَا الْكَــــرَى فِيكُمْ وَقَلْبٍ قَدْ بَرَاهُ الْغَــرَامْ

طَالَ الْنَّوَى مِنْ بَعْدِكُمْ وَانْقَضَتْ بَشَاشَةُ الْعَيْشِ وَسَاءَ الْمُقَامْ[2].

إذ تحول عن ضمير المفرد الغائب إلى ضمير المخاطبين.

وهذا التحول مرجعه إلى أنّ الشاعر لا يخص بالحب والشكوى من الضنّ بالرسائل حبيبه فحسب، بل يقصد كل أحبائه وأصدقائه» [3].

*ومن نماذج هذا النوع ممَّا تيسر في سورة النحل:

النموذج الأول: قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ يَتَفَيَّأُ ظِلَالُهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ سُجَّدًا لِلَّهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ﴾[النحل:48].

« بعد أن نهضت براهين إنفراده تعالى بالخلق بما ذكر من تعداد مخلوقاته العظيمة جاء الانتقال إلى دلالة من حال الأجسام التي على الأرض كلها مشعرة بخضوعها لله تعالى خضوعا مقارنا لوجودها وتقلبها آنا فآنا علم بذلك مع علمه وجهله من جهله. وأنبأ عنه لسان الحال بالنسبة لما لا علم له، وهو ما خلق الله عليه النظام الأرضي خلقا ينطق لسان حاله بالعبودية لله تعالى، وذلك في أشد الأعراض ملازمة للذوات، ومطابقة لأشكالها

[1]- أحمد مطلوب وآخرون: أساليب بلاغية الفصاحة-البلاغة-المعاني ، ص:286.
[2]- محمود سامي البارودي : ديوان سامي البارودي ، ص: 224.
[3]- فتح الله أحمد سليمان: الأسلوبية مدخل نظري ودراسة تطبيقية ، ص:226،227.

وهو الظل. وقرأ الجمهور ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا﴾ بتحتية. وقرأ حمزة والكسائي وخلف (أَوَلَمْ تَرَوْا) بالمثناة الفوقية على الخطاب على طريقة الالتفات و﴿مِنْ شَيْءٍ﴾ بيان للابهام الذي في (ما) الموصولة، وإنّما كان بيانا باعتبار ما جرى عليه من الوصف بجملة ﴿يَتَفَيَّأُ ظِلَالُهُ﴾ الآية. والتفيؤ: تفعّل من فاء الظل فيئًا، أي عاد بعد أن أزاله ضوء الشمس. وتفيؤ الضلال تنقلها من جهات بعد شروق الشمس وبعد زوالها. وقوله ﴿عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ﴾،أي عن جهات اليمين وجهات الشمائل مقصود به إيضاح الحالة العجيبة للظل إذ يكون عن يمين الشخص مرة وعن شماله أخرى، أي إذا استقبل جهة ما ثم إستدبرها. وأفرد اليمين، لأن المراد به جنس الجهة كما يقال المشرق. وجمع ﴿الشَّمَائِلِ﴾ مرادا به تعدد جنس جهة الشمال بتعدد أصحابها. وجملة ﴿وَهُمْ دَاخِرُونَ﴾ في موضع الحال من الضمير في﴿ظِلَالُهُ﴾ لأنّه في معنى الجمع لرجوعه ﴿إِلَى مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ﴾ والدّاخر: الخاضع الذليل، أي داخرون لعظمة الله تعالى»[1].

تتضمن الآية التفات في قوله تعالى: ﴿الْيَمِينِ﴾،جاءت هذه اللفظة مفردة ثم انتقل إلى الجمع في قوله تعالى: ﴿الشَّمَائِلِ﴾،وكان التأويل أن يقال: شمال تمشيا مع سابقه.

فكان الغرض البلاغي من وراء هذا التحول هو التنويع وشد الانتباه في أنّهم رأوا روعة هذه الصنائع ولم يتفكروا فيها ليبيّن الله لهم كمال قدرته وعظمته وقهره فيخافوا منه.

النموذج الثاني: قول الحق تبارك وتعالى: ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [النحل:78].

« ومعنى هذه الآية أن الله تعالى يخرجكم من بطون أمهاتكم وليست لديكم القدرة على تحصيل العلم، فقد كانت ملكاتكم في طفولتكم عاجزة عن أداء وظيفتها فمنّ الله عليكم

[1]- محمد الطاهر بن عاشور: التحرير والتنوير ، ج14 ، ص:168-170.

بنمو أجسادكم وحواسكم وملكاتكم، لكي تحصّلوا بها العلم والمعرفة، فبالسمع تسمعون، وتدركون المسموعات، وبالبصر تدركون المرئيات، وبالعقول والأفئدة تميزون بين الخير والشر والنافع والضار، وتحصلون العلم، وقد فعلنا ذلك لكم وأنعمنا به عليكم»[1].وجاء في تفسير الرازي: «الأفئدة جمع فؤاد نحو أغرب وغراب. قال الزجاج ولم يجمع فؤاد على أكثر العدد، وما قيل فيه فئدان كما قيل :غراب وغربان. وأقول: لعل الفؤاد إنما جمع على بناء جمع القلة تنبيها على أن السمع والبصر كثيران وأن الفؤاد قليل»[2].وقوله تعالى :« ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ أي هي سبب شكرهم وهبها سبحانه»[3]

فظهر الالتفات في هذه الآية الكريمة في لفظة ﴿السَّمْعَ﴾، مفردة والسمع مصدر والمصادر لا تجمع، ثم انتقل إلى لفظة الجمع في قوله تعالى: ﴿وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ﴾.

وفي هذا الالتفات غرض بلاغي هو التذكير بنعم الله تعالى التي وهبها لعباده الضعفاء فقد وفّرها لهم لعباده وحده قبل خروجهم من بطون أمهاتهم.

النموذج الثالث: قال الله سبحانه وتعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النحل:97].

وجاء في تفسير هذه الآية الكريمة أنّه « من عمل الأعمال الصالحة، وقام بما فرض الله عليه، وهو مؤمن بالله، مصدق كتبه ورسله، فإنّ الله تعالى يعده بأن يحييه حياة طيبة، تصحبها القناعة بما قسم الله له، والرضا بما قدره الله وقضاه، إذ هو يعلم أنّ ما حصل عليه من رزق إنّما حصل له بتدبير الله تعالى وقسمته، والله محسن كريم، لا يفعل

[1]- محمد سيد طنطاوي : التفسير الوسيط ، ج5 ، ص:660.
[2]-محمد الرازي فخر الدين : تفسير الفخر الرازي ، ج20، ص:92.
[3]- محمد الطاهر بن عاشور: التحرير والتنوير ، ج14 ، ص:233.

إلا ما فيه المصلحة، وفي الآخرة يجزيه الله الجزاء الأوفى، ويثيبه أحسن الثواب جزاء ما قدم من عمل صالح، وما تحلى به من إيمان»[1].

فالالتفات الوارد هنا من الإفراد إلى الجمع ويظهر الإفراد في قوله تعالى: ﴿مِنْذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ﴾، والجمع الذي يدل عليه الضمير في قوله تعالى: ﴿وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ)،وكذا في قوله تعالى: ﴿مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

والغرض البلاغي المستنبط من هذا الالتفات تأكيد الوعد، حيث أكّد الله سبحانه وتعالى بتحقيق وعده بأن يكافئ كل من عمل عملا صالحا مرضاتا لله بأنّ له في الآخرة أجر أعظم مما في الدنيا.

النموذج الرابع: قول الحق تبارك وتعالى: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آَمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ [النحل:112].

لقد سبق تفسير هذه الآية في موضع الالتفات من المضارع إلى الماضي ومضمونه أنَّ الله تعالى قدم مثلا بلدة كانت تعيش في أمان واطمئنان يأتيها رزقها رغدا، فكفرت بأنعمه سبحانه وتعالى فسلَّط عليهم الجوع والخوف لنكرانهم وكفرهم وجحودهم تلك النعم.

أما بالنسبة للالتفات فهو بارز في هذه الآية فقد انصرف الكلام من المفرد في قوله تعالى: ﴿فَأَذَاقَهَا﴾ إلى الجمع في قوله تعالى: ﴿بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾.وكان مقتضى ظاهر السياق أن يقال: بما كانت تصنع لملائمة ما قبلها .والغرض الذي يفي به هذا الالتفات هو تهديد ووعيد الله الشديد للكفار بأن يحل عليهم عذاب الدنيا قبل الآخرة جزاءا لكفرهم بنعم الله تعالى.

[1]- أسعد محمود حومد : أيسر التفاسير ، ج1 ، ص:654.

المطلب الثاني: الالتفات من الجمع إلى الإفراد

يعتبر من أهم أنواع الالتفات الخاص بالعدد يستعمل في تحسين صياغة الكلام، لأن الانصراف من خطاب الجمع إلى خطاب المفرد له فعالية في إثارة المعاني.

كقوله تعالى:« ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِين﴾ [يونس:87].وقد سبق حكمته ومن نظائره قول بعضهم في قوله تعالى: ﴿قلنا أهبطوا منها جميعا﴾[البقرة:38]، ثم قال﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى﴾ [البقرة:38]، ولم يقل (منّا) مع أنّه للجمع أو للواحد المعظم نفسه، وحكمته المناسبة للواقع، فالهدى لا يكون إلاّ من الله، فناسب الخاص للخاص» [1].

ومثل قوله تعالى:« ﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [البقرة:07].

فلقد جاءت لفظة ﴿سَمْعِهِمْ﴾ مفردة بين جمعين ﴿قُلُوبِهِمْ- أَبْصَارِهِمْ﴾ وهي بذلك تشكل في نسق الآية الكريمة تحولين أولهما عن الجمع إلى الإفراد، والثاني عن الإفراد إلى الجمع.

ومن العدول عن الجمع إلى الإفراد كذلك قول عزّ وجلّ:﴿...ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا﴾ [الحج:05]، حيث وردت لفظة الحال بصيغة المفرد ﴿طِفْلًا﴾ لا بصيغة الجمع (أطفالا) الموائمة لضمير الجمع العائد على المخاطبين في ﴿نُخْرِجُكُمْ﴾ »[2].

*جاء في سورة النحل نماذج عن هذا النوع من الالتفات أي من الجمع إلى الإفراد من أهمها:

[1]- الزركشي: البرهان في علوم القرآن، ج3، ص:335.
[2]- حسن طبل: أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية ، ص:88-93.

النموذج الأول: كقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ﴾ [النحل:66].

قد سبق ذكر تفسيرها في موضع الالتفات في تذكير المؤنث ولعل ما جاء في تفسيرها بأنّ الله سبحانه وتعالى كان من لطفه ورحمته بعباده أن جعل لهم في الأنعام لعظة يسقيهم مما في بطونها لبنا خالصا من الشوائب.

وفي هذه الآية عدول من الجمع في قوله تبارك وتعالى: ﴿فِي الْأَنْعَامِ﴾،إلى المفرد في قوله تعالى: ﴿مِمَّا فِي بُطُونِهِ﴾، وكان مقتضى ظاهر السياق أن يأتي الضمير بصيغة الجمع فيقال: بطونهم تمشيا في نفس السياق مع لفظة الأنعام. والغرض البلاغي المستنبط من هذا الالتفات في هذه الآية هو التذكير بنعم الله التي أنعم بها على عباده وذلك بيان ودليل على رحمته وقدرته .

النموذج الثاني: قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾ [النحل:108].

« الآية عبارة عن صرف الله لهم عن طريق الهدى، واختراع الكفر المظلم في قلوبهم، وتغليب الأعراض على نظرهم، فكأنّه سدّ بذلك طرق هذه الحواس حتى لا ينتفع بها في اعتبار وتأمل، و(السمع) اسم جنس وهو مصدر في الأصل، فلذلك وحد، ونبَّه على تكسبهم الإعراض عن النظر، فوصفهم بـــ (الغفلة) »[1].

ففي هذه الآية الكريمة جاءت لفظة ﴿سَمْعِهِمْ﴾، مفردة بين جمعين ﴿قُلُوبِهِمْ و أَبْصَارِهِمْ﴾.

[1]- أبومحمد بن عطية الأندلسي: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، ج3 ، ص:426.

فالالتفات هنا حاصل على ضربين:

أولهما من الجمع إلى الإفراد في ﴿قُلُوبِهِمْ﴾ و ﴿سَمْعِهِمْ﴾

والثاني من الإفراد إلى الجمع في﴿سَمْعِهِمْ﴾ و ﴿أَبْصَارِهِمْ﴾

والغرض البلاغي المستنبط من هذا الالتفات هو الذم بسبب إقدامهم على الارتداد والغفلة وعدم الهداية ثم أكَّد تعالى بيان صدهم وصرفهم عن الإيمان.

المبحث الثاني: الالتفات بين التثنية والإفراد

يظهر هذا النوع في ذلك التحول من خطاب المفرد إلى خطاب المثنى فينصرف عن الأول إلى الثاني دون أن يُحدث خللا في صياغة التركيب فالتنقل بين التثنية و الإفراد له دور فعال في تحسين الكلام.

المطلب الأول: الالتفات من التثنية إلى الإفراد

وفيه ينتقل الكلام من خطاب المثنى إلى خطاب الإفراد ومن مواطن هذا الانصراف ما ذكر في القرآن « قوله عز وجل مخاطبا موسى وهارون عليهما السلام: ﴿فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الشعراء:16]. حيث وردت لفظة رسول مفردة مع أن ظاهر السياق يقتضي تثنيتها (فَقُولَا إِنَّا).

وكذلك في قوله تعالى:﴿فَأْتِيَاهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ...﴾ [طه:47].

وقد أجاب بعضهم عن هذا التساؤل بأن لفظة رسول من الألفاظ أو الأوصاف المشتركة؛ فهي تعني المرسل ومتحمل القول حينا، والرسالة أو القول المتحمل حينا آخر،

فهي بالمعنى الأول في سورة طه، وبالمعنى الثاني في سورة الشعراء، ومن ثمة ثنّيت في الأول لأنهما رسولان، وأفردت في الثانية لأنها رسالة واحدة»[1].

وفي نفس هذا السياق قوله تعالى: « ﴿قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَا مُوسَى﴾ [طه:49].﴿فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى﴾ [طه117] »[2].

وكذلك ما ورد في هذا النوع من الشعر:

« فَلْيَنْظُرِ الْمَرْءُ فِيمَا قَدَّمَتْ يَدَهُ قَبْلَ الْمَعَادِ فَإِنَّ الْعُمْرَ لَمْ يَدُمِ[3].

أي: فيما قدمت يداه.

واللفظ اليد –ومثناه وجمعه– يستخدم للإشارة إلى أعمال الإنسان في حياته، وخصت اليد بالذكر –دون باقي أعضاء الجسم– لأن أغلب أفعال الإنسان تتم بها»[4].

المطلب الثاني: الالتفات من المفرد إلى المثنى

إنّ التنقل من خطاب المفرد إلى خطاب المثنى تكمن قيمته البلاغية في كيفية تحوله بين نمطين دون أن يحدث خللا في صياغة وأسلوب الكلام فيجعل السامع في حالة من التيقظ العقلي.

ومن أمثلة هذا العدول قوله تعالى:« ﴿فَقُلْنَا يَا آَدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى﴾ [طه:117].

[1]- حسن طبل : أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية ، ص:95.
[2]- الزركشي : البرهان في علوم القرآن ، ج3 ، ص:335.
[3]- محمود سامي البارودي :ديوان سامي البارودي ، ص:234.
[4]- فتح الله أحمد سليمان: الأسلوبية مدخل نظري ودراسة تطبيقية ، ص:237.

ففي إسناد فعل الشقاء إلى الضمير المفرد (المستتر) العائد على آدم عليه السلام عدول عن إسناده إلى ضمير التثنية الذي يقتضيه ظاهر السياق﴿لَكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا ﴾ »[1].

وأيضا قوله تعالى: « ﴿قَالُوا أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا وَتَكُونَ لَكُمَا الْكِبْرِيَاءُ فِي الْأَرْضِ﴾ [يونس:78] »[2].

ونماذجه كذلك في الشعر:

« فَانْتَبِهْ يَا نَدِيمَ وَاسْتَصْبِحَ السَا فِي بِكَأسٍ تَفِيضُ بِالأَنْــوَارِ

وَاسْقِيَانِي وَغَنِّيَانِي بِلَحْـــــنٍ يَبْعَثُ النَّفْسَ مِنْ إِسَارِ الْوقَارِ[3]

والتحول عن خطاب المفرد–في البيت الأول– إلى خطاب المثنى في الثاني له مغزيان:

الأول: أنَّه يخاطب نديمين على الشراب جريًّا على عادة العرب في مخاطبة رفيقين عند السفر أو الرحيل أو عند البكاء على ديار الأحبة أو في مجلس الشراب، والمخاطب واحد في كل هذه الأحوال، وإن كان بلفظ المثنى .

والآخر: أنّه يقصد بقوله (اسقياني) النديم والساقي اللذين ذكرهما في البيت الأول»[4].

[1]- حسن طبل: أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية ، ص:98.
[2]- احمد مطلوب: أساليب بلاغية الفصاحة- البلاغة- المعاني ، ص:286.
[3]-محمود سامي البارودي: ديوان سامي البارودي ، ص:148.
[4]- فتح الله أحمد سليمان : الأسلوبية مدخل نظري ودراسة تطبيقية ، ص:286.

المبحث الثالث: الالتفات بين التثنية والجمع

يتمثل في ذلك التحول من التثنية إلى الجمع أو من الجمع إلى التثنية، ومغزى الالتفات هنا يكمن في قيمته البلاغية وكيفية تحوله من أسلوب إلى أسلوب فيأتي من غير أن يتوقع كل من القارئ أو السامع فيجره إلى حالة من التيقظ العقلي ويبعد عنه ذلك الملل الذي يسير في نمط واحد والفائدة من هذا النوع هو التوسع في الكلام.

المطلب الأول: الالتفات من التثنية إلى الجمع

إنّ تعدد صور الالتفات تزيد في تحسين الكلام ولهذا النوع أي التنقل من المثنى إلى الجمع دور بارز في إضفاء طابع أسلوبي متميز والقرآن الكريم غنيّ بهذه الأنواع الالتفاتية كقوله تعالى:« ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى وَأَخِيهِ أَنْ تَبَوَّآَ لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [يونس:87].

وفيه انتقال آخر من الجمع إلى الواحد، فإنَّه ثنَّى ثم جمع، ثم وحّد، توسعا في الكلام. وحكمة التثنية أنّ موسى وهارون هما اللذان يقرران قواعد النبوة، ليحكمان في الشريعة، فخصهما بذلك ثم خاطب الجميع باتخاذ البيوت قبلة للعبادة؛ لأن الجميع مأمرون بها، ثم قال لموسى وحده ﴿وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾، لأنّه الرسول الحقيقي الذي إليه البشارة والإنذار»[1].

ومن المواطن القرآنية أيضا التي تحقق فيها التحول عن التثنية إلى الجمع قوله سبحانه: «﴿هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ﴾ [الحج:19] –حيث أسند فعل الاختصام

[1]- الزركشي : البرهان في علوم القرآن ، ج3 ، ص:335.

إلى ضمير الجماعة ﴿اخْتَصَمُوا﴾ لا إلى ضمير التثنية (اخْتَصَمَا) الملائم لظاهر السياق»[1].

*ومن نماذج هذا النوع من الالتفات مما تيسر في سورة النحل:

النموذج الأول:

فقد ورد مثالٌ واحدٌ من هذا النوع في سورة النحل وهو قوله سبحانه وتعالى: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَمَنْ رَزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنْفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا هَلْ يَسْتَوُونَ الحَمْدُ لله بَلْ أَكْثَرُهُمْ لاَيَعْلَمُونَ﴾[النحل:75]

قد سبق ذكر تفسير هذه الآية الكريمة في موضع الالتفات من الغيبة إلى التكلم، ومماّ فُسّربه أنّ الله تعالى ضرب مثلا عبدا أحدهما عاجزٌ مملوكٌ والآخر حرٌ له مما رزقه الله من الحلال. ولم يقل يستويان لأنَّ "منْ" إسم مبهم يصلح للواحد وللإثنين وللجمع والمؤنث والمذكر فبيّن في المثال أنّه لا مساواة بينهما، فكذلك الله سبحانه وتعالى لا يستوي مع خلقه وعباده في التصرف بل له كل الحمد والثناء.

وبعد الاطلاع على معظم كتب التفاسير تبين أن أغلب المفسرين قدموا تفسيرا لهذه الآية على أن ﴿عبدا مملوكا﴾ مثناة . ومنه جاء العدول من التثنية في قوله تعالى: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًاعَبَدًا﴾، إلى الجمع في قوله تعالى: ﴿هَلْ يَسْتَوُونَ﴾.والغرض المتضمن من هذا الالتفات هو التنبيه في أخذ العبرة والموعظة من المثال الذي قدّم على العبدين المملوكين ومن هذا جاء الاستفهام الانكاري في عدم التسوية بينهما.

[1]- حسن طبل : أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية ، ص:99.

المطلب الثاني: الالتفات من الجمع إلى التثنية

يعتبر هذا النوع فرعا من فروع الالتفات الخاصة بالعدد له نماذج منها ما ذكر في القرآن الكريم وفي شعر الشعراء ونثرهم ومن أهم مواطن التحول من الجمع إلى التثنية قوله تبارك وتعالى: « ﴿إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُودَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لَا تَخَفْ خَصْمَانِ بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ فَاحْكُمْ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ﴾ [ص:22] إذ في مجيء لفظة ﴿ خَصْمَانِ﴾ مثناة مخالفة لما يقتضيه ظاهر السياق الحافل قبلها بضمائر الجمع ﴿ دَخَلُوا-مِنْهُمْ-قَالُوا﴾ »[1].

وكذلك قوله تعالى: « ﴿ يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ فَبِأَيِّ آَلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [الرحمن:33-34] »[2].

وأمثلة هذا النوع من الالتفات ما ورد في الشعر:

« أَقُولُ لِرَكْبٍ مُدْلِجِينَ هَفَتْ بِهِمْ رِيَاحُ الْكَرَى مِيلِ الطُّلَى وَالْعَمَائِمِ

....

أَلَا أَيُّهَا الرَّكْبُ الَّذِي خَامَرَ السُّرَى بِكُلِّ فَتًى لِلْبَيْنِ أَغْبَـــرَ سَاهِـمَ

قِفَا بِي قَلِيلًا وانْظُرَا بِيَ أَشْتَفِي بِلَثْمِ الْحَصَى بَيْنَ اللَّوَى فَالْنَّعَائِمِ[3].

إذ خاطب اسم الجنس (ركب) مخاطبة الجمع في البيت الأول، ومخاطبة المفرد في الثاني. والاستعمالان جائزان: الأول بتأويل (ركب) على معنى الجماعة، والثاني باعتبار

[1]- حسن طبل : المرجع السابق ، ص:100.
[2]- الزركشي : البرهان في علوم القرآن ، ج3 ، ص:335.
[3]- محمود سامي البارودي : ديوان سامي البارودي ، ص:235.

لفظة. ثم خاطبه في البيت الثالث خطاب المثنى على عادة العرب –والبارودي يسير على نهجهم– في مخاطبة رفيقين عند السفر أو الرحيل»[1].

وكذلك قول الحق تبارك وتعالى: « ﴿ وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا..﴾[الحجرات:09].ففي تلك الآية الكريمة تحول عن التثنية إلى الجمع في﴿طَائِفَتَانِ– اقْتَتَلُوا﴾ ،ثم تحول عن الجمع بالعودة إلى التثنية ﴿ اقْتَتَلُوا– فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا﴾»[2]

من خلال الوقفة التطبيقية تبيَّن أنَّ الالتفات الخاص بالعدد في سورة النحل غلب فيها الانتقال من الافراد إلى الجمع ومن الجمع إلى الافراد ومن التثنية إلى الجمع إلاَّ أنَّه غاب فيها ذلك العدول من المفرد إلى المثنى ومن المثنى إلى المفرد وكذا من الجمع إلى التثنية.

[1]- فتح الله أحمد سليمان : الأسلوبية مدخل نظري ودراسة تطبيقية ، ص:237.
[2]- حسن طبل : أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية ، ص:101.

خاتمة

خاتمة:

سعت هذه الدراسة إلى أن ترصد صور الالتفات في سورة من سور القرآن الكريم ألا وهي سورة النحل.

وقد أثمر هذا البحث جملة من النتائج أهمها:

- أن الالتفات لونٌ من ألوان البديع يندرج ضمن المحسنات المعنوية وهو لا يخرج في تعريفه عن الانتقال والتحول والانصراف من صيغة إلى صيغة ومن أسلوب إلى أسلوب يستعمل في التفنن في الكلام والتوسع فيه.
- تناوله القدماء والمحدثون بتسميات مختلفة منها: الانصراف، الاعتراض، الانتقال، الترك، الاستدراك، شجاعة العربية.
- له مجالات متعددة ومن بينها الضمائر، الصيغ، العدد.
- له شروط لابد من أخذها بعين الاعتبار حتى يتم تحقيقه في الكلام.
- يجني الالتفات فوائد عامة وخاصة فمن العامة: التفنن والانتقال من أسلوب إلى آخر ومن الخاصة: تعظيم شأن المخاطب وفنية التنويع في العبارة.
- قصد المبالغة والاهتمام.
- قصد الدلالة على الاختصاص.
- يكشف الالتفات عن أسرار عظيمة لا يقيدها إلا سياق النص.

وفي الدراسة التطبيقية قمنا باستخراج المواطن القرآنية التي ظهر فيها الالتفات مع تفسير كل آية وشرح نوع الالتفات الوارد فيها مصحوبة بغرضها البلاغي.

ومنه تبين أن سورة النحل تزخر بالعديد من الأساليب الالتفاتية خاصة منها (الضمائر، الصيغ ، العدد) فمثلا الالتفات الضمائري تحقق وقوعه بكثرة في سورة النحل كالانتقال بين الغيبة

والخطاب وكذا بين الغيبة والتكلم وأيضا بين التذكير والتأنيث إلا أنَّها غاب فيها الانتقال بين المضمر والظاهر والانتقال من الخطاب إلى التكلم و العكس لقلة وروده في القرآن الكريم ككل .

أما بالنسبة للصيغ فله صور عديدة تحفل بها سورة النحل ومن مواطنه في هذا المجال الانتقال بين الماضي والمضارع والفعل والاسم الذي غلب ظهوره في السورة، أما التحول من المضارع إلى الأمر ومن الماضي إلى الأمر ومن الاسم إلى الفعل فلم تظهر له مواقف التفاتية في السورة.

وفي العدد طغى عليها الالتفات من الإفراد إلى الجمع ومن الجمع إلى الإفراد وظهرت حالة واحدة في السورة وهي من التثنية إلى الجمع.

ومما لم يعثر لها على أمثلة في السورة:

- الانتقال من التثنية إلى الإفراد.
- ومن الإفراد إلى التثنية.
- ومن الجمع إلى التثنية.

والفائدة المستخلصة من هذه الدراسة أن الالتفات من أهم الأساليب البلاغية له دور فعّال في إصفاء مسحة فنية على الكلام وإثارة المعاني في ذلك التحول بين الصيغ والأساليب لما له من وقع على أثر السامع.

وفي الختام نسأل المولى عزّ وجلّ أن نكون قد وفقنا فيما ذهبنا إليه ولو بجزء ضئيل.

الملاحق

جداول إحصائية للالتفات في سورة النحل:

أ- الضمائر

الموضع	الآية	الملتفت عنه	المتلفت إليه	نوع الالتفات
الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ فَأَلْقَوُا السَّلَمَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ بَلَى إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ	28	الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ	بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ	من الغيبة إلى الخطاب
أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ	47	أَوْ يَأْخُذَهُمْ	فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ	من الغيبة إلى الخطاب
لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ	55	لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ	فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ	من الغيبة إلى الخطاب
وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيبًا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ تَاللَّهِ لَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنْتُمْ تَفْتَرُونَ	56	وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيبًا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ	لَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنْتُمْ تَفْتَرُونَ	من الغيبة إلى الخطاب
أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ	01	فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ	عَمَّا يُشْرِكُونَ	من الخطاب إلى الغيبة
وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ	15-16	أَنْ تَمِيدَ	هُمْ يَهْتَدُونَ	من الخطاب

وَأَنْهَارًا وَسُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (15) وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ		بِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ		إلى الغيبة
ثُمَّ كُلِي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ	69	فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ	يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا	من الخطاب إلى الغيبة
وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ	72	جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُمْ	أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ	من الخطاب إلى الغيبة
وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِمَّا خَلَقَ ظِلَالًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ وَسَرَابِيلَ تَقِيكُمْ بَأْسَكُمْ كَذَلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ (81) فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ الْمُبِينُ	81–82	لَكُمْ تَقِيكُمُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ	فَإِنْ تَوَلَّوْا	من الخطاب إلى الغيبة
يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ	02	يُنَزِّلُ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى	أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ	من الغيبة إلى التكلم

		مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ		
الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ فَأَلْقَوُا السَّلَمَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ بَلَى إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ	28	الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ	مَا كُنَّا نَعْمَلُ	من الغيبة إلى التكلم
وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَأَجْرُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ	41	وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ	لَنُبَوِّئَنَّهُمْ	من الغيبة إلى التكلم
وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ	51	إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ	فَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ	من الغيبة إلى التكلم
ثُمَّ إِذَا كَشَفَ الضُّرَّ عَنْكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْكُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ (54) لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ	54–55	بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ	آتَيْنَاهُمْ	من الغيبة إلى التكلم
تَاللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَهُوَ وَلِيُّهُمُ الْيَوْمَ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ	63	تَاللَّهِ	لَقَدْ أَرْسَلْنَا	من الغيبة إلى التكلم
وَاللَّهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ (65) وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ	65–66	وَاللَّهُ أَنْزَلَ	نُسْقِيكُمْ	من الغيبة إلى التكلم
ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَى	75	ضَرَبَ اللَّهُ	رَزَقْنَاهُ مِنَّا	من الغيبة إلى

شَيْءٍ وَمَنْ رَزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنْفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا هَلْ يَسْتَوُونَ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ		مَثَلًا		التكلم
يَعْرِفُونَ نِعْمَةَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ (83) وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ	83-84	يَعْرِفُونَ نِعْمَةَ اللَّهِ	وَيَوْمَ نَبْعَثُ	من الغيبة إلى التكلم
الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يُفْسِدُونَ	88	عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ	زِدْنَاهُمْ	من الغيبة إلى التكلم
مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ	96	مَا عِنْدَ اللَّهِ	وَلَنَجْزِيَنَّ	من الغيبة إلى التكلم
إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (120) شَاكِرًا لِأَنْعُمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (121) وَآتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ	120-122	لِلَّهِ	آتَيْنَاهُ	من الغيبة إلى التكلم
وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اُعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ	36	بَعَثْنَا	اللَّهَ مَنْ هَدَى اللَّهُ	من التكلم إلى الغيبة
وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ (51) وَلَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَهُ الدِّينُ وَاصِبًا أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَتَّقُونَ	51-52	فَإِيَّايَ	وَلَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَهُ الدِّينُ وَاصِبًا أَفَغَيْرَ	من التكلم إلى الغيبة

			اللَّهِ تَتَّقُونَ	
وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيبًا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ تَاللَّهِ لَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنْتُمْ تَفْتَرُونَ	56	مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ	تَاللَّهِ	من التكلم إلى الغيبة
وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (64) وَاللَّهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ	64–65	وَمَا أَنْزَلْنَا	وَاللَّهُ أَنْزَلَ	من التكلم إلى الغيبة
وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَى هَؤُلَاءِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ (89) إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ	89–90	وَيَوْمَ نَبْعَثُ وَجِئْنَا وَنَزَّلْنَا	إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ	من التكلم إلى الغيبة
وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ	101	وَإِذَا بَدَّلْنَا	وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ	من التكلم إلى الغيبة
وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ	66	الْأَنْعَامِ	بُطُونِهِ	تذكير المؤنث
وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اُعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ	36	مِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ	وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ	تأنيث المذكر

ب-الصيغ

الموضع	الآية	الملتفت عنه	الملتفت إليه	نوع الالتفات
أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ	01	أَتَى	فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ	من الماضي إلى المضارع
فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ	34	فَأَصَابَهُمْ	يَسْتَهْزِئُونَ	من الماضي إلى المضارع
الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ	42	صَبَرُوا	يَتَوَكَّلُونَ	من الماضي إلى المضارع
وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ	43	وَمَا أَرْسَلْنَا	نُوحِي	من الماضي إلى المضارع
وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ	68	وَأَوْحَى	يَعْرِشُونَ	من الماضي إلى المضارع
وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّاكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ	70	خَلَقَكُمْ	يَتَوَفَّاكُمْ	من الماضي إلى المضارع
ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَمَنْ رَزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنْفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا هَلْ يَسْتَوُونَ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ	75	وَمَنْ رَزَقْنَاهُ	فَهُوَ يُنْفِقُ	من الماضي إلى المضارع
وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِمَّا خَلَقَ ظِلَالًا	81	جَعَلَ	يُتِمُّ	من الماضي إلى المضارع

وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ وَسَرَابِيلَ تَقِيكُمْ بَأْسَكُمْ كَذَلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ				
وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَلَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ	93	وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَكُمْ	يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ	من الماضي إلى المضارع
الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ فَأَلْقَوُا السَّلَمَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ بَلَى إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ	28	تَتَوَفَّاهُمُ	فَأَلْقَوُا	من المضارع إلى الماضي
وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ مَا تَرَكَ عَلَيْهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ	61	يُؤَاخِذُ	تَرَكَ	من المضارع إلى الماضي
وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَى هَؤُلَاءِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ	89	نَبْعَثُ	جِئْنَا	من المضارع إلى الماضي
وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا	112	يَأْتِيهَا	فَكَفَرَتْ	من المضارع إلى الماضي

يَصْنَعُونَ				
وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ	08	لِتَرْكَبُوهَا	زِينَةً	من الفعل إلى الاسم
إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ	125	ضَلَّ	الْمُهْتَدِينَ	من الاسم إلى الفعل

ج-العدد:

الموضع	الآية	الملتفت منه	المتلفت إليه	نوع الالتفات
أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ يَتَفَيَّأُ ظِلَالُهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ سُجَّدًا لِلَّهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ	48	الْيَمِينِ	الشَّمَائِلِ	من المفرد إلى الجمع
وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ	78	السَّمْعَ	الْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ	من المفرد إلى الجمع
مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ	97	فَلَنُحْيِيَنَّهُ	وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ، مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ	من المفرد إلى الجمع
وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ	112	فَأَذَاقَهَا	مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ	من المفرد إلى الجمع
وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ	66	الْأَنْعَامِ	بُطُونِهِ	من الجمع إلى المفرد
أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ	108	قُلُوبِهِمْ	سَمْعِهِمْ	من الجمع إلى المفرد

ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَمَنْ رَزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنْفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا هَلْ يَسْتَوُونَ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ	75	مَثَلًا عَبْدًا	هَلْ يَسْتَوُونَ	من التثنية إلى الجمع

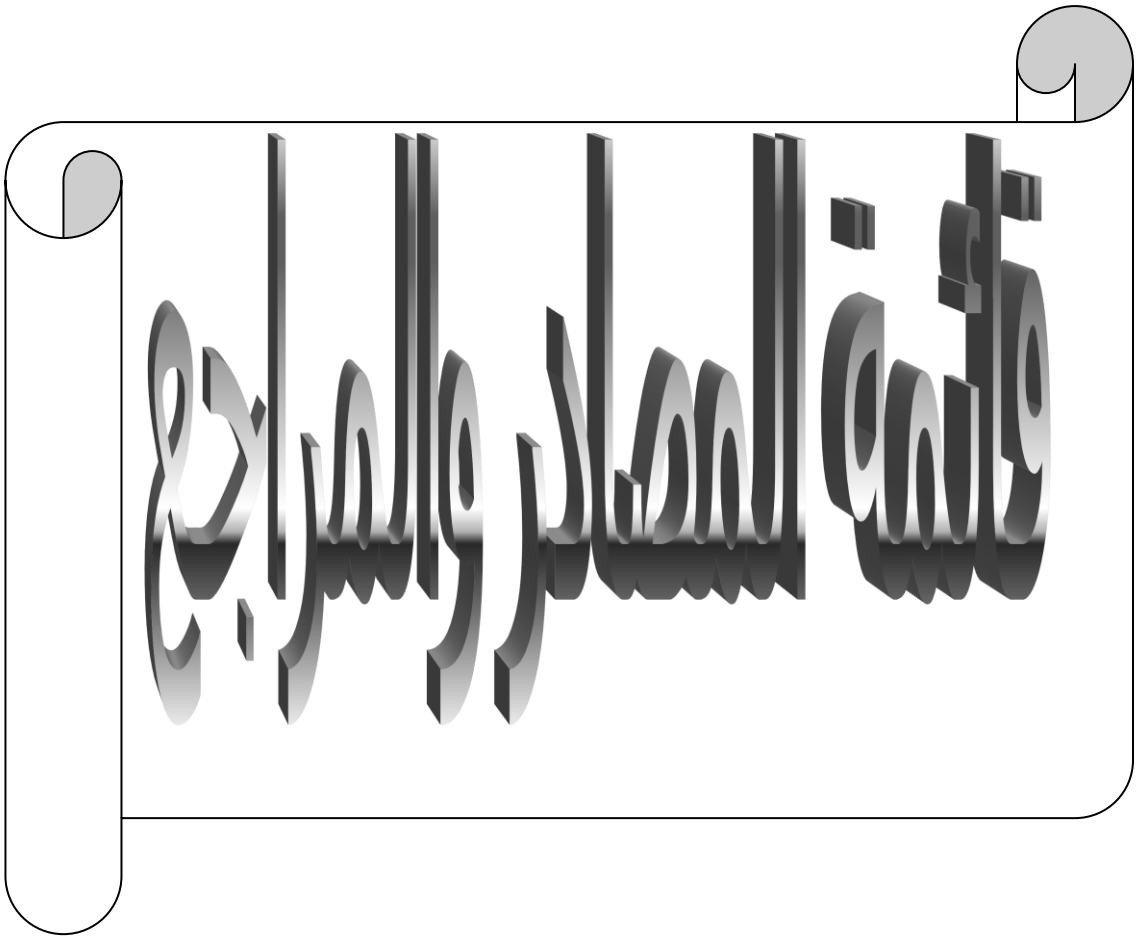
قائمة المصادر والمراجع

مرتبة ترتيبا ألف بائيا على أسماء المؤلفين:

القرآن الكريم

قائمة المصادر والمراجع

- القرآن الكريم عن رواية ورش بن نافع .

1. إبراهيم الثعلبي: الكشف والبيان في تفسير القرآن، تح سيد كسروي حسن، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1425هـ/2004م، ج03.
2. إبراهيم مصطفى وآخرون: المعجم الوسيط مادة (ب ل غ)، دط، دار المكتبة الإسلامية، دت، ج1.
3. أحمد مطلوب وآخرون: أساليب بلاغية الفصاحة–البلاغة–المعاني، ط1، وكالة المطبوعات، الكويت، دت.
4. أسعد محمود حومد: أيسر التفاسير، تح إبراهيم السلقيني، ط4، دد، دمشق، 1419هـ/2009م، ج1.
5. امرئ القيس: ديوان امرئ القيس، تح محمد أبو الفضل إبراهيم، ط5، دار المعارف، القاهرة، دت.
6. بدر الدين الزركشي: البرهان في علوم القرآن، تح محمد أبو الفضل إبراهيم ، دط، دار التراث، القاهرة، دت، ج3.
7. أبو بكر الباقلاني: إعجاز القرآن، دط، دار المعارف، مصر، دت.
8. البيضاوي: حاشية الشهاب المسماة عناية القاضي وكفاية الراضي، دط، دار صادر، بيروت، دت، ج5.
9. توفيق الفيل: بلاغة التراكيب دراسة في علم المعاني، دط، مكتبة الآداب، القاهرة، دت.
10. جمال الدين ابن منظور: لسان العرب مادة (ب ل غ)، دط ، دار صادر، بيروت، دت ، مج 8،ج8.

11. جمال الدين ابن منظور: لسان العرب مادة (ل ف ت)، دار صادر، بيروت، دت، مج2، ج2.
12. حافظ إسماعيلي علوي: التداوليات علم استعمال اللغة ، ط1، عالم الكتب الحديث، اربد،2011م.
13. حسن طبل :أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية، ط1، دار الفكر العربي، القاهرة، 1998م.
14. حميد آدم توييني: البلاغة العربية المفهوم والتطبيق، ط1، دار المناهج، عمان، 1427ه/2007م.
15. ديزيرة سقال: علم البيان بين النظريات والأصول، ط1، دار الفكر العربي، بيروت، 1997م.
16. الزجاج أبي إسحاق بن السري: معاني القرآن وإعرابه، تح عبد الجليل عبده شلبي، ط1، عالم الكتب، بيروت، 1408هـ/1988م، ج3.
17. سعد ابن عبد الرحمان الحصين: مهذب تفسير الجلالين، ط1، دد، 1423هـ/2002م.
18. أبو السعود: تفسير أبي السعود المسمى إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، دط، دار المصحف، لبنان، دت، ج5.
19. سيد قطب: في ظلال القرآن، دط، دار الشروق، دت، مج4، ج14.
20. الشريف الجرجاني: معجم التعريفات، تح محمد صديق المنشاوي، دط، دار الفضيلة، القاهرة، دت.
21. شهاب الدين الآلوسي: روح المعاني، تع محمد شكري الآلوسي البغدادي، ط1، دار إحياء التراث العربي، بيروت، دت، ج14.
22. شهاب الدين الآلوسي: روح المعاني، تع محمد شكري الآلوسي البغدادي، ط1، دار إحياء التراث العربي، بيروت، دت، ج15.

23. شوقي ضيف: البلاغة تطور وتاريخ، ط9، دار المعارف، القاهرة، دت.
24. ضياء الدين ابن الأثير: الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والمنثور، دط ، مطبعة المجمع العلمي، 1375هـ/2011م.
25. ضياء الدين ابن الأثير: المثل السائر، تح أحمد الحوفي وبدوي طبانة، ط2، دار نهضة مصر، دت، ج2.
26. أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، تح هشام سمير البخاري، ط1، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1422هـ/2002م، ج10.
27. عبد الرحمان حسن حنبكة الميداني: البلاغة العربية أسسها، وعلومها، وفنونها، ط1، دار القلم، دمشق، 1416هـ/1996م،ج1.
28. عبد الرحمان حسن حبنكة الميداني: معارج التفكر وحقائق التدبر، ط1، دار القلم، دمشق، 1427هـ/2006م، مج13.
29. عبد الرحمان بن ناصر السعدي: تيسير الكريم الرحمان في تفسير كلام المنان، تح عبد الرحمان بن معلا اللويحق، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1423هـ/2002م.
30. عبد العزيز عبد المعطي عرفه: من بلاغة النظم العربي، ط2، عالم الكتب، بيروت، 1405هـ/1984م، ج1.
31. عبد العزيز عتيق: علم البديع ، دط ، دار النهضة العربية ، لبنان ، دت.
32. عبد العزيز قليقلة: البلاغة الاصطلاحية، ط3، دار الفكر العربي، القاهرة، 1412هـ/1992م.
33. عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز في علم المعاني، تع: محمود محمد شاكر، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1409هـ/1988م.
34. ابن عطية الأندلسي: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تح: عبد السلام عبد الشافي محمد، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1422هـ/2001م، ج3.

35. أبو علي الحسن بن رشيق: العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، د ط، دار الجبل، بيروت، د ت، ج2.

36. عيسى علي العاكوب وآخرون: الكافي في علوم البلاغة العربية معاني –بيان– بديع، د ط، الجامعة المفتوحة، 1992م.

37. فتح الله أحمد سليمان، الأسلوبية مدخل نظري ودراسة تطبيقية، د ط، مكتبة الآداب، القاهرة، 1425هـ/2004م.

38. أبو الفداء إسماعيل بن كثير: مختصر تفسير ابن كثير، تح محمد كريم راجح، ط7، دار المعرفة، بيروت، 1420هـ/1999م،ج1.

39. أبو القاسم جار الله الزمخشري: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تح خليل مأمون شيحا، ط1، مكتبة العيكان، الرياض، 1418هـ/1998م.

40. مجد الدين محمد الفيروز آبادي: قاموس المحيط مادة (ل ف ت)، تح محمد نعيم العرقسوسي، ط8، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1426هـ/2005م.

41. مجيد محمد أبو موسى: خصائص التراكيب دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني، ط4، مكتبة وهيبة، القاهرة، 1416هـ/1996م.

42. محمد بركات: دراسات في البلاغة، ط1، دار الفكر، عمان، 1984م.

43. محمد حسين أبو موسى: البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري، د ط، دار الفكر العربي، د ت.

44. محمد الرازي فخر الدين:تفسير الفخر الرازي ، ط1، دار الفكر، بيروت ، 1401ه/1981م ، ج20.

45. محمد رفعت أحمد زنجير: مباحث في البلاغة وإعجاز القرآن، ط1، د د، 1428هـ/2007م.

46. محمد سليمان عبد الله الأشقر: علوم اللغة العربية، ط2، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1415هـ/1954م.
47. محمد سيد طنطاوي: التفسير الوسيط للقرآن الكريم، ط1، دار نهضة مصر، القاهرة، 1997م، مج5، ج5.
48. محمد الطاهر بن عاشور: التحرير والتنوير، د ط، الدار التونسية، تونس، 1984م، ج1.
49. محمد الطاهر بن عاشور: التحرير والتنوير، د ط، الدار التونسية، تونس، 1984م، ج14.
50. محمود سامي البارودي: ديوان سامي البارودي، د ط، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، دت.
51. ابن مسعود البغوي: تفسير البغوي "معالم التنزيل"، تح محمد عبد الله النمروآخرون، د ط، دار طيبة، الرياض،1411ه، ج5.
52. ابن المعتز: كتاب البديع، تح عرفان مطرجي،ط1، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، 1433هـ/2012م.
53. مصطفى القجوي الحنفي: حاشية محي الدين شيخ زاده، تح عبد القادر شاهين، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1419هـ/1999م، ج5.
54. أبو منصور الثعالبي: فقه اللغة وسر العربية، تع خالد فهمي، ط1، مكتبة الخانجي، القاهرة ، 1428هـ/1998م، ج2.
55. ابن النقيب : مقدمة تفسير ابن النقيب، دط، دار العلوم ، القاهرة ، دت .
56. أبو هلال العسكري: الصناعتين الكتابة والشعر، ط2، مطبعة محمد علي صبيح، مصر، د ت.
57. أبو يعقوب بن علي السكاكي: مفتاح العلوم، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1420هـ/2000م.

المجلات:

58. أحمد اللباد: فصول دراسة نقدية،الالتفات، عدد 85–86، ديسمبر، 2013م.

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات	الصفحة
مقدمة	أ-هـ
مدخل: مفاهيم أولية	**07-24**
أولا: تعريف البلاغة	07
أ-لغة	07
ب-اصطلاحا	08
ثانيا: تعريف الالتفات	09
أ-لغة	09
ب-اصطلاحا	10
ج-آراء القدامى والمحدثين	10
أ-القدماء	10
ب-المحدثون	13
د-مجالات الالتفات	14
ه-شروط الالتفات	17
و-فوائد الالتفات	18
ثالثا: التعريف بسورة النحل	19
أ-سبب التسمية	19
ب-صلتها بما قبلها وبعدها	20
ج-موضوعات سورة النحل	22
الفصل الأول: بلاغة الالتفات بالضمائر في سورة النحل	**26-60**
المبحث الأول: الالتفات بين الغيبة والخطاب	26
المطلب الأول: الالتفات من الغيبة إلى الخطاب	27
المطلب الثاني: الالتفات من الخطاب إلى الغيبة	31
المبحث الثاني: الالتفات بين الغيبة والتكلم	37
المطلب الأول: الالتفات من الغيبة إلى التكلم	37
المطلب الثاني: الالتفات من التكلم إلى الغيبة	47

المبحث الثالث: الالتفات بين التكلم والخطاب	53
المطلب الأول: الالتفات من التكلم إلى الخطاب	53
المطلب الثاني: الالتفات من الخطاب إلى التكلم	53
المبحث الرابع: الالتفات بين المضمر الظاهر	55
المطلب الأول: وضع الضمير موضع الاسم الظاهر	55
المطلب الثاني: إظهار ما سبق إظهاره	55
المطلب الثالث: إظهار المضمر	56
المبحث الخامس: الالتفات بين التذكير والتأنيث	56
المطلب الأول: تذكير المؤنث	56
المطلب الثاني: تأنيث المذكر	59
الفصل الثاني: بلاغة الالتفات بالصيغ في سورة النحل	**62-78**
المبحث الأول: الالتفات بين الماضي والمضارع	62
المطلب الأول: الالتفات من الماضي إلى المضارع	62
المطلب الثاني: الالتفات من المضارع إلى الماضي	69
المبحث الثاني: الالتفات من المضارع والماضي إلى الأمر	73
المطلب الأول: الالتفات من المضارع إلى الأمر	73
المطلب الثاني: الالتفات من الماضي إلى الأمر	74
المبحث الثالث: الالتفات بين الفعل والاسم	74
المطلب الأول: الالتفات من الفعل إلى الاسم	75
المطلب الثاني: الالتفات من الاسم إلى الفعل	77
الفصل الثالث: بلاغة الالتفات بالعدد في سورة النحل	**80-93**
المبحث الأول: الالتفات بين الإفراد والجمع	80
المطلب الأول: الالتفات من الإفراد إلى الجمع	80
المطلب الثاني: الالتفات من الجمع إلى الإفراد	85
المبحث الثاني: الالتفات بين التثنية والإفراد	87
المطلب الأول: الالتفات من التثنية إلى الإفراد	87

المطلب الثاني: الالتفات من الإفراد إلى التثنية	88
المبحث الثالث: الالتفات بين التثنية والجمع	90
المطلب الأول: الالتفات من التثنية إلى الجمع	90
المطلب الثاني: الالتفات من الجمع إلى التثنية	92
خاتمة	95
الملاحق	98
قائمة المصادر والمراجع	109
فهرس الموضوعات	116